□ القسم الثاني □

(اعرف من حولك)

◆ اكتساب المكانة عند الآخرين ◆

- حاول أن تتعرف على اهتمامات صديقك، وقدم له هدايا تناسب طبعه. قدم له كتب الرياضيات والطبيعة وغيرها.

- اذهب دائما لرؤيته وزيارته ، استشره في أمورك واتبع آراءه. لكن - لا تكشف نفسك أمامه أبدًا، لأنه إذا أصبح عدوك في يوم من الأيام سيعرف كيف ينتصر عليك.

- لا تطلب منه شيئا لا يرغب هو في منحك إياه. هنئه بعبارات جميلة ولكن مقتضبة في أثناء الاحتفالات والأعياد أو بمناسبة شفائه من مرضه. حدثه دائما عن فضائله وخصاله الحميدة، ولا تكلمه أبدا عن نواقصه وعيوبه.

- امنحه صداقتك، وانقل له الإطراء والمدح الذي سمعته عنه، وداعب أذنيه بالمدائح، ولا سيما تلك التي قرظه رؤساؤه بها.

- لا تظهر له عيوبه أبدًا، ولا تعلن له عن النواقص التي يرمى بها مهما كانت الطريقة التي يطلب منك بها ذلك. وإذا ما ألح عليك تظاهر برفض الاعتقاد أن له نواقص أو عيوبا.. اللهم إلا بعض العيوب الطفيفة. أو اذكر له بعض النواقص التي كان قد اعترف بها سابقا بنفسه، لأن هذا النوع من الحقائق يترك دائما أسًى وحرقة مهما كانت الطريقة التي تحاول استخدامها لإبراز هذه الحقائق، وخصوصا إذا كانت في موضعها الصحيح.

- انقل له باستمرار تحياتك عبر شخص آخر تطلب منه ذلك، أو بواسطة رسائل موجهة إلى أشخاص آخرين.

- لا تدافع أبدًا عن رأي يعارض رأيه ولا تخالفه، وإذا ما كانت لديك الجرأة

للقيام بذلك ، فامنحه الفرصة لإقناعك وتغيير رأيك متظاهرًا بأنك أصبحت تابعا لرأيه مقتنعا به.

- لا تتوانَ أبدا عن مناداته بألقابه التي يحبها، وكن مستعدا لاتباعه في مبادراته، حتى وإن كانت صعبة التحقيق. ولكن لا تحاول أبدًا اكتساب إعجاب شخص ما عند طريق تبني نواقصه، ولا تتخذ أبدًا مواقف متناقضة مع وضعك الشخصي، فرجل الدين مثلا يأنف من المزاح الثقيل، وجلسات الشراب والتهريج.. إلخ.. لأنه إذا ما كانت مواقف من هذا النوع قد تعجب البعض في حينها، فإنها قد تثير أيضا الاحتقار والسخرية، وقد تؤدي فيما بعد إلى كراهية حادة.

- إذا ما اضطررت أحيانا إلى الابتعاد عن طرق الفضيلة، فإن عليك القيام بذلك دون سير في دروب الرذيلة.

- إذا أردت التقرب إلى شخص ما ، والتعرف عليه ، ابدأ بمعرفة من يحوز على إعجابه من بين أفراد حاشيته، ومن يكيد له المكائد، ومن يمتاز بالفكاهة. احصل على تأييد هؤلاء الناس بكل السبل المتاحة أمامك، فذلك سوف يكون مفيدا جدًّا لك في المستقبل. كما يمكنك استخدام نصائحهم لتطوير أعمالك، لأن هذا النمط من الناس يشارك في تحقيق النصائح التي يقدمها لك.

- إذا ما أردت الثأر من شخص ما فعليك أن تجعلهم يرتابون ويشكون في هذا الشخص، وأن تتصرف بشكل يجعل كراهيتك له تنتقل إليهم وتصبح قضيتهم.

- لا تجعل سيدك يأمرك بارتكاب جريمة، فهو قد يشكرك في حينها إلا أنه فيما بعد سوف يرى فيك قاضيا ضده، وسوف يتصور البعض أنك قادر على أن ترتكب بحق السيد ما سعيت لارتكابه بحق شخص آخر، أو سوف تصبح رجلا يمكن شراء فضيلته ووفائه. وإلا فإن أفضل حل لك هو الحصول على المكافأة عن جريمتك وأن تختفي عن الأنظار فورًا.

- اكتب رسالة تقريظ ومدح عن شخص ما ثم اتركها تقع بين يديه.

- هناك أناس يكون مبعث سرورهم في أن يكونوا موضع إعجاب شخص آخر، ولذلك يكفيك معرفة ماذا يعجب أو ينفِّر هذا الشخص الآخر، وتناديه بـ

(أخي) حتى وإن كان أقل منك مرتبة ومكانة، إذ سوف تكون الأول الذي سيُظهر له علامات التكريم، بشرط أن يكون على الأقل من أرومة شريفة وأصل طيب.

- لا تغرق إنسانا بما يحب لدرجة تصيبه بالغثيان، ولكن عليك الإيحاء بدل العطاء وإثارة الرغبة بهذا الشكل. تصرف بالطريقة نفسها حتى مع ما يخص الألعاب والأحاديث.. إلخ. لا تطلب من أي صديق أن يضع تحت تصرفك أي شيء كان، لأنه إذا لم يكن قادرًا على ذلك، أو إذا منحك هذا الشيء ثم استعاده وهو في حالة سيئة فإنه سيحتفظ لك بالكراهية.

- لا تشتر شيئا من صديق لك، لأنه إذا كان الثمن مرتفعا فأنت المتضرر، وإن كان الثمن متدنيا فهو المتضرر.

- تعامل جيدا مع خدم صديقك الأكثر تواضعا، وإلا فإنهم سيشوهون صورتك شيئا فشيئا في ذهن صديقك، وفكر دائما في أثناء حضور مأدبة عنده، أو عندما تكون مدعوا عنده.. تظاهر بأنك تثق بهم، وأفض إليهم بأسرار ذات أهمية زائفة، وبرهن لهم أنك حريص دائما على خدمة صديقك. ولكن احترس فإنك إذا تعاملت بتواضع مع الخدم فإنهم سيحتقرونك، وإذا ما ثرت ضدهم فإنهم سيكرهونك. عليك أن تعاملهم برفق وبصورة رسمية، فإنهم بذلك سوف يحترمونك.

- عليك أن تكون متسامحا وعاطفيا ومحببا مع النبلاء. ارفض علامات التواضع التي تدل على خضوع مبالغ فيه، ولا تنحني كثيرا أمام الآخرين.

- استبعد البخلاء من بين أصدقائك فهم من طبيعة خسيسة.

- إذا كنت تبحث عن تأييد عامة الناس، عِدْ كل واحد منهم بامتيازات مادية، لأن هذا ما يؤثر فيهم ويبحثون عنه وليس التشريف أو المجد.

- إذا كنت مدعوًّا إلى مائدة شخص أقل منك مرتبة.. اقبل ذلك، لكن لا توجه أي انتقاد مهما كان، وأظهر تهذيبا متناهيا مع كل الذين حولك، مع بقائك هادئا في أقوالك، محافظا على وقارك.

- تجنب محاولة الاستحواذ على أي شيء يعود لمن حولك دون موافقتهم أو إذنهم.

- كن رءوفا بمن حولك ، ومشجعا لهم ووزع أعمالك الخيرة بين مختلف فئاتهم.

- إذا تحتم عليك في بعض الأوقات توجيه نقد لهم، فلا تتعرض بالنقد لحكمتهم أو جدارتهم.. امدح مخططاتهم، وعظمة أهدافهم.. لكن الفت انتباههم إلى المشاكل التي سيواجهونها، وبالثمن الذي سيكلفه عملهم، واجعل من نفسك المدافع الدائم عن تجاوزات عامة الشعب.

- راقب ولاحظ بدقة الشخص الذي تريد الحصول على تأييده: ما ميوله؟ هل يميل إلى الأسلحة؟ العلم؟ التسامح؟ الحقيقة؟

- لا تتدخل إلا بصورة استثنائية جدًّا من أجل إنسان ما، لأن كل ما ستحصل عليه لهذا الإنسان سيكون كما لو طلبته لنفسك.

- احرص على أن تحتفظ لنفسك بتأييد الأمير كاملا.

- لا تُفْشِ لأي إنسان أسرارًا ائتمنك عليها شخص ما لأنك ستفقد احترامه.

- إذا ما أمرت بارتكاب جريمة، اعمل على كسب الوقت، وإيجاد عذر للتهرب من تلك الجريمة، كأن تتظاهر بالمرض، أو أن خيولك قد سُرقت.. إلخ.

- عامل خدم ذلك الذي تريد الحصول على صداقته كأصدقاء، ثم اشترِ ضمائرهم إذا ما كنت بحاجة إلى أن يخونوا سيدهم لمصلحتك[1].

◆ صديق صديقك ◆

- امدح شخصا ما في حضور شخص ثانٍ، فإذا بقي هذا الأخير صامتا فهذا يعني أنه ليس صديقه، وإذا ما غيّر الحديث إلى موضوع آخر، أو إذا رد بصورة مقتضبة، فاعمل على التخفيف من مدحك، أو قل بأن معلوماتك لم تكن كاملة، أو انتقل إلى مدح أناس غيره.

- يمكنك أيضا الإشارة إلى أحد أعماله المعروفة، وسترى إذا ما كان هذا الأخير سينتهز هذه الفرصة للمزايدة عليك أم لا في هذا الصدد. ربما يقول لك إن هذا الإنسان كان موفور الحظ، أو أن العناية الإلهية ساهمت في أعماله الخيرة، أو أن يثني ويمدح أيضا أعمالا أكثر أهمية قام بها أشخاص آخرون، أيضا

(١) يتوافق هنا مازاران مع ميكافيللي، فكل شيء مباح من أجل تحقيق غاية محددة؛ الرشوة، الخيانة.

قد يدعى أخيرا بأن صديقك لم يقم سوى باتباع نصائح شخص آخر.

- يمكنك أيضا أن ترسل له رسالة تطلب فيها توصية إلى ذلك الشخص الذي تفترض أنه صديقك، كي تطلب منه أن يعهد إليك بسرّ ما، وعندها سوف ترى مشاعره بوضوح. أو بلِّغه تحية من جانب هذا الصديق المفترض، أو قل له أنك تلقيت أنباء سيئة تتعلق به، وراقب رد فعله.

◆ اكتساب الاحترام والمكانة ◆

- لا تكن متأكدًا أبدًا من أن أحدًا ما لن يخونك إذا تصرفت أمامه بشكل سيئ، أو إذا تكلمت بطريقة إباحية ومبتذلة. في هذا الموضوع أيضا لا تثق بخادم أو أي أحد، فمن مسألة خاصة صغيرة سيتوصل الإنسان إلى نتيجة عامة لتكوين صورة وسمعة سيئة عنك.

- لا تطلق لنفسك العنان في العلن، حتى ولو لم يكن هناك سوى شاهد واحد. ولا ترو كيف تم العيب فيك وذمك، في ظروف أخرى، أو كيف تمت ملاحقتك ومطاردتك بغير حق لأنك ستساهم بهذه الطريقة في القدح، وسيكون هناك دائما مَنْ يكرر هذه الأقوال المشينة. وهنا وفي هذا المجال لا يمكن الأخذ بقول برنارد الحكيم: (اغفر للنوايا إذا لم تستطع الغفران للعمل). وقل إن الخطأ حصل صدفة، بسبب الطيش، أو أن الشر تم إيقاظه بصورة إرادية كي يخوض البعض تجربة الإغواء.

- قل كل ما تريد أمام الأشخاص المعروفين بالثرثرة، وأفض إليهم بصورة سرية، بعد أن تجعلهم يقسمون على أنهم لن يتكلموا عن ذلك لأي إنسان، بأن تأثيرك كبير جدًّا على بعض الأقوياء، وأنك على اتصال مستمر مع البعض الآخر... إلخ. وبعيدا عن الأنظار، حرر رسائل إلى هؤلاء الكبار، ووقعها، وأبرزها لهؤلاء الثرثارين، ثم احرقها. وبالطريقة نفسها اخترع إجابات تشير إليها دون قصد، فيما بعد.

- إن الخطر الوحيد في حالات من هذا النوع، هو احتمال أن يكون الآخرون

قد سمعوا بغموض، وفهموا بطريقة سيئة، وأنهم قد يرددون وينشرون هذه الأمور أيضا بنفس الغموض، لذا يجب قراءة هذه الرسائل بصوت عالٍ وواضح، وأكّد على أنك لم تؤذ أي إنسان، وأنك لهذا السبب وبسبب مجهوداتك تأمل في الحصول على ميدالية التاج الملكي، واذكر أمثلة مستوحاة من عندك لهذه المناسبة. وفي كل مرة تظهر أمام الجمهور تصرف بصورة لا تقبل الانتقاد، لأنه غالبا ما أدى خطأ واحد إلى تدمير سمعة ما بصورة نهائية.

- لا تقم أبدًا بعدة أمور في وقت واحد، لأن تجميع الأعمال في وقت واحد لا يؤدي إلى المجد، ويكفي أن تنجح بصورة رائعة في عمل واحد.. وأنا هنا أتكلم بناء على تجربة.

- من الملائم والمستحسن الثقة دائما بالمتحمسين، والأقوياء، والأقارب، فهذه الثقة تكون في موضعها.

- تظاهر بالتواضع، والبراءة، والألفة، والمزاج المعتدل. امدح، اشكر، وكن منفتحا مقبلا حتى مع الذين لم يقدموا أي شيء لك.

- في بداية توليك أي منصب لا تضن بتفكيرك أو بجهدك، ولا تقدم على أمر دون أن تكون واثقا من النجاح فيه ، لأنه بعد أن ترسخ سمعتك بشكل جيد، فإن كل شيء حتى الأخطاء، سيتحول لمصلحتك.

- إذا كنت منهمكا في قضية من صلب مهمتك، ارفض أي عمل آخر يمكن أن يحول جزءًا من اهتمامك.. إذ إن أي تأخير في واجبات عملك سيسبب لك الانتقاد. وإنه بالرغم من كبر وعظم ما أنجزته، بالإضافة إلى الهموم الكثيرة التي تكون قد أثقلت عليك، فإن البعض سيقول لك: إن ذلك يعود للعمل الإضافي الذي قبلته.

- عندما تبدأ في عمل ما لا تأخذ معك شريكًا أكفأ منك، وأكثر تجربة في هذا العمل. وإذا كنت مضطرًا لزيارة أحد ما، فلا تفعل ذلك بصحبة شخص يقيم معه علاقات جيدة أكثر منك. وإذا ما كان عليك التخلي عن مهمة معينة، تجنب أن يكون خلفاؤك أكثر منك كفاءة بصورة ملحوظة.

- دوّن عندك المراحل الناجحة التي مرت بها مؤسستك دون أن تلقي بالا للحساد الذين سيوجهون إليك الانتقادات فورًا، لأن الكتابة، سواء كانت صادقة أو مجاملة، ستحمل لأجيال المستقبل كل مظاهر الحقيقة، في حين أن الكلام

الشفهي يموت مع أولئك الذين يتفوهون به، أو حتى قبلهم.

*** كيف تصنع لنفسك سمعة وشهرة عالم ؟**

- اجمع في مجلد واحد كل المعلومات التاريخية التي يمكنك الحصول عليها، ثم اقرأها كل شهر، وأعد قراءتها في أوقات فراغك. وبهذه الطريقة ستتكون لديك رؤية إجمالية عن تاريخ العالم، وتستطيع إظهار معارفك وقت الحاجة.

- حضر، مسبقا، سلسلة من الصيغ للإجابة، والتحية، والمبادرة بالكلام، أو لمواجهة كل ما هو غير متوقع بصفة عامة.

- هناك البعض ممن يتذلل حتى أقصى حد في سبيل أن يكبر، وفي سبيل البرهان على أن تميزه وما وصل إليه يعود إلى ثروته وإلى عبقريته وحدها، وليس إلى جهده أو عمله. هذا الصنف من الناس يميل غالبا إلى التقليل من شأن نفسه، ويبالغ في التواضع لدرجة الظهور بمظهر الضعيف والمتردد، ولذا عليك عدم قبول هذا السلوك إلا من جانب رجال الدين فقط[1].

- لا تظهر كل قدراتك واحتفظ دائما بقوى احتياطية، حتى لا يستطيع أحد تقييم حدود قدراتك.

- عندما لا تستطيع استخدام من حولك للتدخل في أمر ما، أو لإنزال عقوبة بشخص معين، تجنب الاشتراك بصورة مباشرة في مثل هذه الأعمال، واشغل نفسك بمهام أكبر.

- لا تقحم نفسك في مناقشات تتعارض فيها عدة آراء إلا إذا كنت متأكدًا من أنك على حق، وأنك تستطيع إثبات ذلك.

- عليك بدعوة من هم في خدمتك لأي احتفال تقيمه، لأن هذه الفئة من العوام ثرثارة جدًّا، وهي التي تجمِّل أو تشوّه السمعة الشخصية. لذا لابد من إشباع هؤلاء الخدم كي لا يفكروا إطلاقا في سرقتك ، وللسبب نفسه عامل المزين ومن يؤدون لك أقل الخدمات بصورة أليفة.

---

(١) يوضح هذا الرأي تلك النظرة التي كان ينظرها الناس وقتها إلى رجال الدين، والصراع بين الكنيسة ورجال السياسة.

◆ كيف تدير وقتك أثناء العمل ؟ ◆

- نَحِّ جانبا القضايا غير المهمة أو البسيطة الأهمية، واهتم بالقضايا الأخرى بحسب توزيع للوقت لا تتجاوزه بأي حال من الأحوال، وإذا كانت قضية ما ذات أهمية قليلة فلا تعطها إلا بعض الوقت.

- لا تأخذ وقتا أكثر من اللازم لتسوية الأشياء بشكل جيد.

- إذا كنت متعبا من قضية ما ، فلا تلحّ على نفسك، ولكن نشط نفسك بمتعة شريفة، ومارس الرياضة. وستقوم بإنجازها فيما بعد مع القضايا الأخرى، بسرعة وبدون جهد. وأمامك حل آخر: أن تنتقل إلى قضية أخرى يمكن أن تسوَّى بسهولة.

- قسِّم القضايا التي تتطلب عدة أيام من العمل إلى أجزاء، وسوِّها واحدة واحدة.

- لا تشغل بالك بتلك المسائل التي لا تحقق لك المجد، أو تجلب لك المال، والتي تحتاج إلى كثير من الجهد.

- لا تلزم نفسك أبدًا بقضايا لا تخدمك بشيء، وتأخذ الكثير من وقتك، لمجرد أن تسر شخصا ما.

- لا تتعامل أبدًا مع الحرفيين بصورة شخصية، ولا تهتم بتدبير الأمور المنزلية، أو الحدائق، أو أعمال البناء، لأن هذه الأمور تحتاج إلى جهد كبير، وتخلق لك هموما.

◆ اكتساب الاحترام ◆

- احرص على أن تكون تصرفاتك متلائمة مع وضعك ومكانتك.

- فإذا ما كنت كاهنا فلا تتدخل في الحرب، وإذا ما كنت نبيلا لا تتدخل في التنجيم[1] ، وإذا ما كنت رجل دين لا تتدخل في الطب، وإذا ما كنت

(١) كان المنجمون في ذلك الوقت، في الشرق والغرب على السواء، لهم مكانة بارزة عند الملوك، وكانوا أحيانا يستشيرونهم في كل صغيرة وكبيرة، ويتفاءلون بآرائهم.

محاميا لا تدخل في مبارزة مع أحد. فكل وضع له ما يلائمه.

- لا تقطع وعودًا على نفسك بسهولة، ولا تعطِ إجازات لمن يعملون عندك بسهولة، كن صعبا في بسط أساريرك لأحد، بطيئًا في إعطاء رأيك، ولكن انتبه: عندما تعطي رأيا لا تغيره.

- لا تجعل نظراتك كأنك تتفحص محدثك، ولا تلمس أنفك، ولا تحكه أبدًا، وتجنب إظهار وجهك متجهمًا.

- لتكن حركاتك قليلة ، ورأسك مرتفعا عاليا، وكلمتك متزنة، وامش بخطوات محسوبة، وحافظ على وضعية لائقة.

- لا تفض لإنسان بميولك ومزاجك، وبما تكرهه، ولا تعترف له بخجلك.

لا تتولّ بنفسك معالجة القضايا التافهة، بل اترك مخدوميك يهتمون بها ولا تتكلم عنها أبدًا.

- لا تدع أحدًا يشاهد استيقاظك، وذهابك إلى الفراش، أو وجباتك.

- لا تُفْرط في عدد أصدقائك، وليكن لك أصدقاء قلائل، تراهم على فترات متباعدة حتى لا تفقد الاحترام المتوجب عليك نحوهم.

- احرص على أن تختار دائما مكان محادثاتك.

- تجنب كل تغيير مفاجئ في عاداتك، حتى وإن كان ذلك من أجل تحسينها. نفس الشيء ينطبق على نوعية ملابسك الجيدة، أو أسلوب حياتك اليومية.

- امدح ولُمْ دون تطرف، وليكن مدحك ولومك بناء على دراسة، وإلا فإنك ستقع في وضع متطرف أو مفرط.

- لا تفرط في التعبير عن مشاعر حيوية مثل الفرح والاندهاش.. .. إلخ، ولكن اجعل ذلك بصورة استثنائية، وحتى في المودة والألفة مع الأصدقاء، أظهر تقواك بالطريقة نفسها.

- لا تشتك من أحد، ولا تتهم أحدًا، حتى عندما تكون واثقا من نفسك.

- لا تفرض قانونا إلا في أضيق الحدود، ولا تترك نفسك للغضب بسهولة، لأنك ستبدو رجلا خفيفا غير متزن إذا ما هدأت بسهولة.

- إذا كان يتوجب عليك الكلام أمام الناس، ألق خطابا كنت قد حضرته، ومكتوبا مسبقا.

◆ عندما تقرأ أو تكتب ◆

- إذا كان يتوجب عليك الكتابة في مكان مزدحم، ضع أمامك، وبشكل عمودي، ورقة مكتوبة، كما لو كنت تقوم بإعادة كتابتها، ولتكن واضحة للجميع. وضع الأوراق التي تكتب عليها فعلا على وجهها الآخر، وغطها، ولا تترك أي شيء مرئي منها سوى سطر من صفحة تكون قد نسخت عليها عدة أسطر يتمكن كل من يمر بجوارك قراءتها. أما الأوراق التي قمت بكتابتها فخبئها تحت كتاب، أو تحت ورقة أخرى، أو خلف الورقة الموضوعة بشكل عمودي.

- إذا فاجأك شخص وأنت تقرأ، قلِّبْ عدة صفحات بسرعة حتى لا يتعرف أحد على ما تقرأه أو الموضوعات التي تهتم بها. ولكن من المفضل أن يكون أمامك مجموعة من الكتب، حتى لا يستطيع ذلك الذي يراقبك معرفة أي كتاب تقرأ. وإذا جاء شخص ما وأنت تقرأ، أو تكتب رسالة، وشعرت أنه يرتاب في ما تعمله، فقم بطرح سؤال عليه لا يتعلق بالموضوع الذي تقرأ أو تكتب فيه، كما لو كان هذا السؤال على علاقة بما تكتب أو تقرأ. وإذا ما كنت تكتب لشخص طلب منك نصيحة في موضوع ما فاسأل هذا الضيف غير المتوقع: (كيف سأجيب على هذا السؤال المطروح عليَّ، ولابد لك من الحذر والحكمة). يمكن أيضا أن تشغله بسؤاله عن آخر الأنباء، بحجة أنك ستتكلم عنها في رسالتك كما ستدعي له ذلك.

- تصرف بنفس هذه المبادئ عندما تقوم بإجراء حسابات.

- احرص دائما على أن تكتب الوثائق التي تريد إبقاءها سرية بنفسك إلا إذا كنت تريد أن تستخدم لغة مشفرة، وأيضا عليك عندما تكتب الوثائق أن تستخدم لغة مقروءة ومفهومة من الجميع مثل تلك التي يقترحها (ترنتيهام) في كتابه (البوليجرافيا) وهذه هي الطريقة إذا كنت لا تريد كتابة الوثائق بنفسك. لأن لغة الرموز التي يقدمها نص غير مقروء تثير الشك والريبة.

- إن الحل الوحيد إذن هو أن تقوم بوضع رموزها بنفسك.

◆ الهدايا والمنح ◆

- قدم بسخاء ما لا يكلفك في الظاهر، أي شيء، مثل امتيازات لا يستطيع المستفيد منها استخدامها إطلاقا. إن المعلم لا يجب أن يحرم تلميذه من الأمل بأنه يستطيع تعميق معرفته حول موضوع ما. وعندما يقوم أب بتقديم هدايا لابنه فإن عليه أن يشعره أن هذا ليس سوى شيء قليل، وأنه يستطيع الحصول على أكثر من ذلك، هذا المبدأ نفسه يجب تطبيقه على العلاقات بين السادة ومرؤوسيهم.

- أيضا ، إذا قام السيد بإعطاء أحدهم هبة بملكية ما، فإن على الخادم، وكي يبقى تابعا لإرادة سيده، أن يظل بحاجة إليه من أجل الخشب، والماء، والطاحون مثلا.

- إذا ما كان هناك عقد بين السيد والتابع، فيجب إضافة بند على هذا العقد يسمح للسيد بأن يفسخ هذا العقد بإرادته هو فقط.

- وإذا كان أحدهم جديرا بوظيفة عامة ويريد التهرب منها في اللحظة التي تعهد بها إليه، فلا تقبل رفضه لهذه الوظيفة إلا إذا عبر عن ذلك علانية، وإلا فإن البعض سيظن إذا عملت العكس بأن تأييدك له لم يكن مكافأة على جدارته. وحتى لا يستطيع التهرب من ذلك اجعله يبدأ وظيفته في اليوم نفسه الذي تعهد فيها إليه ثم اترك المدينة مباشرة، بهذه الطريقة سيكون مجبرا على الكتابة إليك ليعلمك برفضه، وبانتظار جوابك سيكون قد بدأ في ممارسة وظائفه.

- امنح هبات لا تكلفك شيئا، وقم مثلا بتخفيف عقوبات مستحقة، أو تراجع عن فرض ضريبة جديدة، كنت على غرار جارك، مستعدًا لفرضها بالرغم من صفتها الجائرة، واجعل ذلك على شكل هدية تقدمها لهم.

- إن الناس الذين تستخدمهم في أعمالك لا يجب أن يكون عندهم إطلاقا نزعة حب الرفاهية، أو السلاح، أو المجوهرات، أو الخيل، لأنك بهذا الشكل تستطيع مكافأتهم بسخاء دون أن يكلف ذلك خزينتك شيئا كبيرا.

- ولتكن عندك أساليب جيدة في تقديم العطاء، فمثلا إذا أردت تقديم بندقية

كهدية، تقوم مسبقا بتنظيم مباراة في الرماية تكافئ فيها المنتصر، سواء كنت متأكدًا من فوزه، وسواء كنت تريد الاستسلام للحظ.

- إذا كنت تريد اكتساب خدمات شخص ما، فلا تقطع له وعودا؛ لأنه سيتراجع عن ذلك، باعتبار أن إطلاق الوعود هو في الوقت نفسه أسلوب للتنصل من العطاء، ولدفع أجر الناس بالكلمات المعسولة فقط.

- إذا تباهى أحدهم أمام الناس بثروته، شجع الذين يستمعون إليه ليتوسلوا إليه ويطلبوا منها عطاءً.

- تجنب التراجع عن قرارات أسلافك ووعودهم، لأنهم كانوا في وضع يسمح لهم بتوقع أمور تخفى عليك الآن.

- تجنب أيضا منح امتيازات دائمة دون حساب، لأنه في اليوم الذي تكون فيه في حاجة إلى منح شخص آخر لن تستطيع ذلك.

- لا تظهر نفسك وكأنك تغدق في عطاياك كي يعترف إليك الناس بالجميل، واحذر من إشعار الآخرين بالثمن المتوجب عليهم.

- راقب بدقة الذين حولك، ومن هو في حاجة إلى شيء ما، وماذا ينقصه، وما هو وضعه.

- إذا قمت بمساعدة إنسان لا تقل ذلك للآخرين، لأنك بذلك ستهينه، وستبدو وكأنك تلومه على قبوله لمساعدتك. وإذا ما كان لديك النية للكلام عن هذا الأمر، فقل بأن المقصود هو دين له عليك، وأن هذا التصرف ليس مكافأة، ولا اعترافا بالجميل. وإذا ما تلقيت هدية من إنسان ما مهما كانت صغيرة، فاحرص على أن تبدو ممتنا له.

◆ الطلب ◆

- احرص على ألا تؤدي طلباتك لكثرتها إلى إفلاس من يصنع الخير معك، ولا تطلب منه بذل جهود هامة جدًّا، ومن الأفضل أن تلمح لصديقك بأنك في وضع الحاجة، فإن ما لا تحصل عليه بهذا الأسلوب لن تحصل عليه أبدًا بطلبات ملحّة. وعبّر له عن درجة اعترافك له بمستوى الهبات التي قدمها إليك كي يفهم

أنك ستكون دائما في حاجة إلى مساعدته.

- إذا كنت في حاجة إلى تقديم التماس لشيء هام، تكلم عن قضايا أخرى، ثم أوضح له في ثنايا الحديث، بأن أمرًا محددًا هو موضوع رغباتك.

- اقترب من الكبار بحذر، لأنهم يتخيلون بسهولة أنك تحاول قيادتهم أو السيطرة عليهم. استخدم وسطاء، واختر لهذا الهدف أناسا قريبين منهم. مثلا دع ابنا يتدخل لدى والده إن لم تكن مصالحك متعارضة مع مصالحه.

- إن أفضل لحظة لتقديم طلب ما هي تلك اللحظة التي يكون فيها الشخص الآخر جيد المزاج. مثل أن تقدمه في يوم عيد، أو بعد وجبة طعام، بشرط ألا يكون في طريقه للنوم.

- تجنب طلب أي شيء من شخص غارق في عاصفة في المشكلات أو القضايا، أو مرهقا من التعب. تجنب كذلك طلب عدة أمور في وقت واحد.

- إذا كنت تعمل من أجل مصالح شخص ما، فتصرف معه أمام الناس كغريب، فلا يكن لك معه إلا محادثات قصيرة ونادرة، كي يظهر أنك تعمل بدافع الحب للخير العام وليس من أجل المصالح الخاصة.

- كَيِّفْ طرقك في العمل على حسب الشخص الذي تتعامل معه . تكلم عن الأرباح والخسائر مع البخلاء، وعن الدِّيْن مع الأتقياء، وعن النجاح والتواضع مع الشباب.

- لا تطلب من السيد هبة أو امتيازا يستغرق الحصول عليها وقتا طويلا.

- اكتب الطلب بنفسك ثم مرره إلى السيد في اللحظة المناسبة كي يوقع عليه.

- لا تطلب من أي إنسان شيئًا نادرًا عزيزا عليه، خاصة إذا كان هذا الشيء لم يكن لينفعك؛ لأنه إذا رفض سيعتقد أنه أساء إليك، وسيحسب لذلك حسابا، على اعتبار أننا نكره الذي جرحنا مشاعره. وإذا أعطاك هذا الشيء ، فإنه سيفكر في التخلص منك لأنك ملتمس مزعج.

- ومما أنه من الأمور المهينة والمذلة أن نواجه بالرفض، فلا تطلب شيئا لستَ واثقا من الحصول عليه، لذا من الأفضل ألا تطلب أي شيء بطريقة مباشرة، ولكن بالإيحاء بما أنت في حاجة إليه.

- إذا كنت ترغب في شيء، فلا تجعل أحدًا يعرف ذلك قبل الحصول عليه. وعليك أن تظهر بأن ليس لك أي أمل من هذه الناحية، والتصريح من جهة أخرى بأن شخصا آخر حصل عليه، وستذهب في كلامك لحد تهنئته.

- إذا كان هناك إنسان يسعى للحصول على شرف تطمح أنت إليه، أرسل إليه مبعوثًا سريا ليقنعه بالعدول عن ذلك باسم الصداقة، وليبين له الصعوبات التي سيواجهها.

◆ تقديم النصيحة ◆

- ابدأ كلامك بالحديث عن أي شيء، ثم انتقل إلى الأفعال التي تريد عدم الموافقة عليها.. ارسم لها صورة هزلية، ثم انتقل إلى انتقادها ولكن بعد إدخال الكثير من التفاصيل المتباينة؛ حتى لا يشعر الإنسان الذي توجه له النصح أنه معنيٌّ مباشرة. ورتب أمورك بحيث يستمع إليك بطيب خاطر، ودون أن يغضب، وأضف لحديثك بعض الفكاهة، وإذا ما رأيته يحزن لذلك اسأله عن السبب. وأخيرا، وبعد أن تمزج ذلك بمسائل أخرى، تكلم بصورة عامة عن المعالجات الممكنة لوضع من هذا النوع.

- إذا عرف أحد أنك تشك فيه لعيب ما ، فاعهد إليه، بطريقة سرية، بأمر تكون المخاطر فيه معدومة بالنسبة إليك، أو غير مهم لك، فهو، وحتى يبعد عن نفسه أي شك، سيبذل أقصى جهده لخدمتك. ولهذا، فإنه ليس سيئًا أن تجعل الناس يشعرون أن لديك شكوكا حولهم من وقت لآخر - فالشباب البالغين يميلون إلى الغش والطيش والتهور، لذا فإن انتقادك لتصرفاتهم في شكل لوم لا يمكن إلا أن يزيد من اتجاهاتهم السيئة.. ولذا، فإنه من الأفضل انتظار إعلان ندمهم، أو تعبهم من سلوكهم السيئ، ولكن إذا استطعت إعادتهم إلى الطريق القويم، فلا تنتقل فجأة من القسوة إلى الوداعة. وكن مباشرًا وعنيفا مع أصحاب الطباع الباردة، فبهذا الشكل تؤثر فيهم. أما أصحاب الطباع الحارة فتصرف معهم بنعومة وكياسة.

◆ تجنب المفاجأة ◆

- لا ينبغي الاعتقاد كثيرا بأقوال الحكماء؛ لأنهم يقللون بصورة مبالغ فيها من خصالهم الكبرى، ويرفعون كثيرا من سمعة الآخرين. وهم لن يعترفوا لك أبدًا بأن شخصا ما تحدث بسوء عنك أمامهم، كما أنهم في الوقت نفسه لن يطلبوا منك الحذر، ولن يقولوا لك عيوب هذا الشخص أو ذاك. والأمر نفسه بالنسبة للكهنة الذين يمتدحون رعاياهم، لأنهم لا يستطيعون أن يفعلوا عكس ذلك، والأمر نفسه بالنسبة للآباء الذين يشيدون بأبنائهم.

- إذا كنت تخاف من أن هناك أحدًا ما سيعمد إلى إثارة القلاقل أو الشكاوى ضدك في غيابك، أو أي أمر من هذا النوع، فقم باصطحابه معك عندما تقوم بنزهة، أو عندما تذهب للصيد، ودعه يجلس دائما بجانبك على المائدة، وفي الاجتماعات.. إلخ. وتصرف بالطريقة نفسها إذا كنت تريد تجنب أن تستفيد الدول المجاورة من إحدى رحلاتك كي تعلن عليك الحرب. فاصطحب معك أعيان هذه الدولة كما لو كانوا حلفاءك المخلصين جدا، ولكن مع ضرورة الانتباه لمرافقتهم بفريق صغير مسلح تكون واثقا منه.

◆ صحتك .. كنزك ◆

- احرص على ألا تفرط في غذائك سواء من ناحية النوعية أو الكمية، وتصرف بالطريقة نفسها نحو ملابسك فيما يتعلق بالحر أو البرد.. تجنب أيضا أن تفرط في العمل أو في النوم.

- يجب أن يكون مسكنك جيد التهوية، لكن دون أن يكون سقفه عاليا.

- إن عسر الهضم والإسهال، والتي هي مصادر أمراض، وكذلك الحركة والراحة يجب أن تكون معتدلة، والعواطف مكبوحة.

- لا تسكن بالقرب من مستنقع ولا بالقرب من مجرى ماء، ويجب أن تكون نوافذ غرفتك موجهة ناحية الشمال الشرقي، بدلا من الشمال الغربي.

- لا تشغل ذهنك أكثر من ساعتين في قضية هامة، بل توقف من وقت لآخر كي تريح ذهنك.
- تناول غذاء يسهل الحصول عليه ويمكن إيجاده في كل المناطق.
- عاشر زوجتك باعتدال مهما تكن حالتك، وذلك بحسب مطالب طبيعتك.

◆ إياك أن تجلب كره الآخرين لك ◆

- ارفض الشهادة في قضية إذا كانت شهادتك سوف تغضب أحد الأطراف[1].
- لا تعط معلومات عن إنسان لا ينتمي إلى أصل عريق، أو إذا كان من أصل وضيع.
- إذا أطلقت انتقادًا في أثناء محادثة، فتابع كلامك كأن شيئًا لم يكن.
- لا تظهر لأي إنسان أي ود خاص بحضور أشخاص آخرين، لأنهم يمكن أن يتصوروا أنك تحتقرهم، ويمكن أن يكرهوك بهذا الشكل.
- تجنب الصعود والارتقاء السريع والبراق جدًّا، فالأنظار يجب أن تعتاد ضوءًا مليئًا بالحيوية ومعتدلا، وإلا فإنها ستغلق إذا بهرها.

لا تعارض ما يعجب الشعب، سواء أكان عبقريًا أم تقليديا، وإذا كان عليك الاعتراف بأنك صانع أي عمل جريء، فلا تعرض نفسك للأحقاد التي يثيرها هذا الإعلان بسرعة، ولا تجعل سلوكك يدل على أنك تأسف على شيء، أو أنك فخور بما قمت به عن طريق السخرية بضحاياك، لأن ذلك يؤدي إلى زيادة الحقد ضدك، وأفضل حل هنا هو غيابك بعض الوقت دون أن تظهر.

- إذا ما طبقت قوانين معينة، فاحرص على أن تساوي بين الجميع، وثق بالفضيلة.
- قدم كشفا بأعمالك كي تسر الشعب، ولكن يجب أن يكون ذلك بعد إنجازها كي تتجنب الاعتراضات.

---

(١) كتمان الشهادة جريمة لا تغتفر، ولها عقابها الشديد في الدنيا والآخرة.

- ولتكن قاعدتك العامة ، ألا تدع نفسك تتكلم بخفة، سواء بالخير أو بالشر، عن أي شخص كان، ولا ترو أعمال أي شخص كان سواء أكانت سيئة أم حسنة، لأنه يمكن أن يكون هناك في أثناء حديثك صديق للشخص الذي تتكلم عنه، والذي يمكن أن ينقل حديثك له بعد المبالغة فيه، وبالطبع فإن هذا الإنسان الذي تتكلم عنه سوف يشعر بأنه مجروح منك. أما إذا كان الإنسان الموجود معك عدوًّا للشخص الذي تتحدث عنه بالخير، فإنك ستكتسب عداوته بحديثك.

- نعم، إنه من المهم معرفة كل شيء وسماع كل شيء، وأن يكون لك جواسيس في كل مكان.. ولكن يجب أن تقوم بذلك بحذر؛ لأنه من المهين لأي إنسان أن يشعر أنه مراقب، إذن عليك التجسس على الآخرين دون أن يشعر بك أحد.

- أيضًا يجب عليك تجنب التدليل على كثير من النبل والشهامة، إذا ما جاز القول، لأن البعض سيرى في ذلك احتقارًا، ولا سيما إذا قلت - مثلا - بأنك لا تطلب شيئا من أي إنسان، وأن لديك كل ما يلزم من جنود..إلخ.

- من الأفضل لك عدم الادعاء أمام الآخرين بأنك تمارس سياسة أفضل من أسلافك، وأن قوانينك ستكون أكثر حزما وحيوية، وأنك ستكسب أصدقاءهم. كذلك لا تتكلم عن مشاريعك إلا تلك التي تعرف مسبقا أنها ستلقى التأييد.

- أما مع أتباعك، فلا تعط لأحد - مهما كان - امتيازا وتفضيلا عن الآخرين، ولا تتظاهر بأنك تشارك سلطتك مع أحد منهم، خاصة إذاكان الآخرون يمقتونه.

- لا تميز أحدًا من أتباعك بمكافآت خاصة، إلا إذا اعترف الجميع بتميزه، لأن ذلك سيكون سببا للمنافسة بين الجميع.

- إذا كان يتوجب عليك ممارسة بعض القسوة على أتباعك فألق بتبعة ذلك على الآخرين، وتظاهر كما لو لم تكن مَنْ أعطى الأوامر. بذلك يمكنك التخفيف من آلامهم إذا قدم البعض منهم للشكوى إليك، ويمكنك أن تلقى المسؤولية على أولئك الذين أخذوا المبادرة بمثل هذا القدر من القسوة، ففي حالة إهمال النظام في الجيش مثلا، اعهد إلى ضباطك بمسألة إعادة النظام عن

طريق الطلب منهم أن يأمروا الجنود بالقيام بمهمات شاقة دون أن تضع حدا لقسوتهم، فإنهم لكي يحوزوا على رضاك، سيلجأون إلى قسوة مفرطة، مفسحين المجال بذلك أمامك لتمارس طيبتك تجاه الجنود الذين يلجأون إليك.

- كل أولئك الذين تستحق أعمالهم أن يفخروا بها، اتركهم يظهرون ذلك دون أن تطالب بنصيبك من ذلك، فالفخر سيزيد بالنسبة لك إذا ترفعت عن الغيرة.

- انسب نجاحاتك إلى شخص آخر يكون قد أعانك بوعيه ونصائحه، ولا يجوز أن تغتر بنجاحك، إذ عليك المحافظة على نفس أسلوب الكلام، ونفس عادات المائدة، ونفس الملابس. وإذا كان عليك تغيير أي شيء فليكن ذلك لسبب محدد تماما.

- إذا كان هناك إنسان ما عليك معاقبته، فاستدرجه لأن يعترف هو بأنه مذنب، أو اطلب من شخص آخر محاكمته بعد أن تكون قد أوصيته سرًّا بالنطق بحكم قاسٍ، حكم يتسنى لك تخفيفه بعد ذلك.

- تجنب إهانة خصمك عند هزيمته، ولا تتحداه، واكتف بواقعية انتصارك دون أن تحتفل به بالكلمات أو الحركات.

- إذا ما كان عليك إصدار قرار ذي شأن كبير، الجأ إلى صيغة غامضة وتكلم بصوت فيه نبرة خطورة لمصلحة وجهة النظر التي تريد الدفاع عنها، ثم تظاهر بأنك تتوصل لمصلحة وجهة النظر المعادية، أو احتفظ باستنتاجاتك.

- إذا ما طلب منك التدخل في قضية ما لمصلحة أحد، فاقبل ذلك، ولكن برهن في الوقت نفسه على أن هذه القضية لا تخصك وحدك، وأنك لا تمتلك سلطة على نتيجتها النهائية التي قد تكون مناقضة لما تتمناه.

- إذا كان عليك الانتقام من إنسان ما، استخدم طرفا ثانيا، أو قم بذلك بصورة سرية وليس في العلن.

- أجبر المهان على مسامحة مَنْ أهانه، واسمح لهذا الأخير بالهرب بسرعة وفي سرية.

- إذا ما كان هناك أقرباء لك أطراف في قضية ما، فلا تنحز لهذا الطرف أو ذاك، واعتذر للطرفين بكثرة مشاغلك، فبهذه الطريقة لن تصور أحد أنك خنته،

لأنك لن تكون قد فضلت أحدًا على آخر.

- لا يجب أن تسمح لأحد بمجرد أن يتخيل أنك شاركت مع من هم أعلى منك في إصدار قوانين جديدة، وخاصة إذا كانت هذه القوانين لا تحظى بالقبول أو الشعبية.

- تجنب أن تظهر كثيرا مع ذلك الذي يمتلك السلطة، وانقل إليه دون أن يرجوك، القصص التي لا أهمية لها، ولا تتباه أمام أحد بصداقتك له، فإنه إذا ما لاحظ أحد تأثيرك على الكبار فإنك ستكون مسئولا ومشاركا معهم في أعمالهم السيئة.. إذن.. احرص على أن يستمع سيدك لنصائحك، واستمع لتعليقاته، ولكن لا تقم بتغييرات سياسية كبرى إلا عندما تكون غائبا وفي مكان آخر.

- إذا ما كنت في جلسة، وقام أحد بمدح عائلتك وأسلافك، غيِّر موضوع الحديث.. عندها سيلاحظ الآخرون تواضعك، والحسد لن ينال من مجدك. أما إذا بدوت سعيدا بمدحه فإنك ستثير حسد الآخرين.

- لا تدافع عن الأعمال الغوغائية، وإذا ما تمت إقالتك من وظيفتك، عبّر عن رضاك، وعن اعترافك بالجميل نحو هذا الذي أعاد إليك السكينة التي كنت تطلبها.

- ابحث عن الحجج التي تقنع مستمعيك بصورة أفضل، كي لا تُوَجَّه لك انتقادات عند سقوطك، ولا تحاول - بشكل مكشوف واضح - معرفة ما إذا كان إنسان قد حاربك، ومن ساندَه في صراعه ضدك، ولا تتكلم أبدًا عن عدوّك، مع حرصك على معرفة كل أسراره.

- لا تقابل أبدًا - في العلن - أولئك الناس المكروهين، ولا تتبع نصائحهم.

- لا ينبغي أن يعرف أحد أنك كنت في مجلس يتصور البعض أنه اتخذت فيه قرارات شديدة القسوة، حتى وإن كانت هذه القرارات ضد أناس عديمي الأهمية، إذ يمكن أن يعتقد البعض أنك كنت المبادر بهذه القرارات بطريقة أو بأخرى.

- تجنب الإشارة إلى أعمال أي إنسان، ولا تنتقدها، وتجنب النظر بإمعان إلى الطريقة التي يؤدي بها الآخرون وظائفهم.

- لا تذهب دون أن تكون مدعوًّا ، إلى الأماكن والمكاتب، أو إلى أي مكان

يُعتقد فيه أنك موجود للتجسس على الآخرين.

- احرص على ألا يجرح سلوكك أحدًا، وإذا ما جاء إنسان استقبله بصورة ودية، مهما كانت انشغالاتك، ودعه يشعر أنك ترحب به، ولكن عليه أن يعذرك اليوم وأن يعود مرة ثانية. وإذا أردت العيش في سلام وطمأنينة فإن عليك التخلي عن كثير من الرفاهية.

- في كل مرة يروى فيها أمامك حديث عن أشياء مزيفة لا أصل لها.. دع الآخرين يتكلمون دون أن تقاطعهم، إذ من غير المجدي أن تثبت أنك مُطَّلع أكثر منهم.

- لا تستقبل أحدًا بمزاح ، أو بكلمة مرحة ، إذ يمكن أن يشعره ذلك بقلة تقدير منك له، أو شكل من أشكال الهزء والسخرية.

- إذا ما تحمل أحد فشلا معينا، لا تهزأ منه، بل على العكس، اعمل على إيجاد الأعذار له، واجعله يتكلم ، وساعده.

- لا تستخدم صلاحياتك كقاضٍ لإعطاء أوامر إلى أناس أحرار وليسوا رعايا[1].

◆ كيف تنتزع الأسرار ؟ ◆

- لا تأنف من التحادث مع أناس من أصل وضيع، لأن لطفك وتواضعك يبهرهم، وإذا ما قدمت لهم، بالإضافة إلى ذلك، القليل من الذهب، فإنهم سيقولون لك كل ما تريده.

- تصرف بنفس الأسلوب مع الخدم، لكن أعلم أنك بتصرفك هذا تخوض مخاطر كبرى.

- عليك أن توصي الخدم الذين يخونون سيدهم أن يحترسوا ويخشى بعضهم البعض، واحترم ، بدقة، تعهداتك تجاههم كي يحافظوا على ثقتهم بك، ولا تستخدم المعلومات التي يزودونك بها بصورة فورية.

---

(١) الأحرار هم النبلاء والإقطاعيون، أما الرعايا فهم باقي الشعب المطحونون.. هذه هي المساواة والعدل وقتها.

◆ معرفة النوايا ◆

- استمع أولاً إلى الأسباب والمبررات التي يسوقها ذلك الذي يدافع عن قضية ما. ثم تمعّن في ما إذا كانت هذه الأسباب وتلك المبررات جيدة، ثم انظر كيف يتصرف هذا الإنسان عادة، وإذا ما كان هناك ما يدعو للشك به في هذه الحالة الخاصة. وهكذا فإن الإنسان الذي يبدأ الكلام بحماسة، مع أنه لا يقوم بذلك أبدًا، فإنه لا يعبر إطلاقًا عن رأيه الشخصي. كذلك الإنسان الذي يغير رأيه فجأة، ويبدأ في الدفاع بقوة عما كان يهاجمه منذ قليل، فهذا شخص قد تم شراؤه على ما يبدو. وإذا ما ظل على مواقفه بعد اقتناعه بخطئه، فهذا معناه أنه لا يعمل من أجل الأسباب التي ادعاها.

- لكي تكتشف حقيقة مواقفه، أرسل له شخصا آخر ليصبح صديقه، وليستجوبه تحت طابع السرية، فهو سيبوح له بحقيقة أخرى.

◆ لا تهن الآخرين ◆

- لا تبدو شديد القسوة بشكل مفاجئ تجاه أولئك التابعين لك، دون أن تظهر في الآن نفسه شديد القرب، فبمضاعفة الآلام والمكافآت، فإنك ستمزج الحب مع الخشية.

- ابدأ دائما بشيء جديد يمكن أن يطغى على الآخرين، حتى على الأمير، وحاول أن تجد مقلدين لك، فعندها لن تكون الوحيد الذي يثير الغيرة والحسد.

- إذا ظن البعض أنك وراء صدور القرارات غير الشعبية، امنح الشعب علنا بعض الهدايا، مثل تخفيف الضرائب، والعفو عن محكوم عليهم .. إلخ.. وبرهن على تواضعك مع أولئك الذين تحبهم الجماهير.

- إذا ما قررت مسبقا اتباع سياسة جديدة، التق مسبقا، وبشكل سري، بأحد رجال الدين، وضع نفسك إلى جانبه كي يكون هو الذي يقترح عليك الأمور علنا، ويشجعك عليها أو حتى يردعك.

- وإذا ما كانت لديك نية إصدار قوانين جديدة، أثبت ضرورة هذه القوانين للحكماء، وحضر المشروع معهم، أو قم ، بكل بساطة، بإثارة الضجة أنك استشرتهم، واستمعت إليهم. ثم، دون أن تأخذ نصائحهم بعين الاعتبار، اتخذ القرارات التي تناسبك.

- لا تمنح أي إنسان زوجة أو خادما.. إلخ، ولا تحاول أبدًا إقناع إنسان مهما كان تغيير نمط حياته، ولا تكن أبدًا وصيا منفذًا لأي وصية.

- إذا كنت موجودًا في الوقت الذي يوجه فيه أحدهم أوامره إلى خدمه، ابق موجودًا، ولكن دون أن تتدخل بموافقتك أو بمعارضتك لما يقول.

- عندما تصل إلى بلد جديد، لا تقع في الخطأ الشائع الذي يقع فيه معظم الناس، والذي يقتصر على ترديد حسنات الناس وعادات البلاد التي تركتها.

- حتى لو كنت في قرارة نفسك ذا رأي مغاير، فإن عليك اتباع موقف التساهل في قضايا الضمير، كما في كل القضايا الأخرى، ولكن بشر دائما بالحزم[1]

- لا تدَّع إطلاقا أمام الآخرين بأن لك تأثيرا على رؤسائك، ولا تتظاهر بالحصول على تأييدهم، كذلك لا تسترسل بإفشاء أسرارك الشخصية، وبأن تقول ما تفكر فيه عن هذا وعن ذاك.

- مهما كانت وظيفتك، فإنه بإمكانك الحصول على رضا رئيسك إذا جعلته يستفيد من بعض المنافع.

- عليك البرهان دائما عن بعض التسامح مع مرؤوسيك، على الأقل ظاهريا، بدلا من أن تبدي الكثير من القسوة تجاههم.

- إذا ما تناهى إلى سمعك أن صديقا غير متأكد من صداقته لك تكلم عنك بسوء، فلا تنتقده لذلك، لأنك ستجعل نفسك عدوا لشخص لم يكن أمره يهمك حتى الآن.

- لا تحاول أبدًا معرفة أسرار الكبار، لأنه في حالة تفشي السر وانتشاره، فإن الشكوك ستحوم حولك.

---

(١) لو طبق الناس في حياتهم العامة هذا الرأي لتحول المجتمع إلى غابة موحشة.

- إذا ما قام أحدهم بزيارتك ، سواء لمجاملتك، أو لتهنئتك، أو للسلام عليك..إلخ، فإن عليك القيام بخطوة تحبب، ورد المجاملة بهذه المناسبة.

- إذا لم يحترم ؛ أحدهم وعوده معك، فلا تنتقده لذلك، كي لا تكسب كراهيته.

- حاول أن تخسر في اللعب أمام سيدك بقدر المستطاع ، أي عندما يكون الربح هو محور اللعب، وليس المال. فإن رجلا قويا بالفعل، لا يمكن أن ينهزم إطلاقا إلا من سيده.

- مهما كانت الصداقة الوثيقة التي تربطك بسيدك، لا تتخل إطلاقا عن الاحترام والخضوع المتوجبين عليك تجاهه، وإلا فإنه سيظن أن هذه الصداقة جعلتك تفقد معنى الواجب.

- لا تزعم إطلاقا أنك غيرت قرار شخص ما بواسطة نصائحك، لأنه في المرة القادمة سيقاوم نصائحك أكثر. ولا تشتم الشخص الذي يفشل بسبب عدم اتباع نصائحك، بل دع الأحداث تثأر لك.

- لا تعلن أبدًا عن مواردك، أو قوتك، أو خيالك الواسع، أو مهارتك اليدوية، أو سرعتك في السباق.

- إذا ما تم قبولك في مواقع الكبار، وفي مجالسهم، ومع وزرائهم، فلا تفش أبدًا أسرارهم، ولا تحاول معرفة مشاريعهم.

- اخف ما تعرف، وتظاهر بالجهل، وإذا ما تحملت بعض الظلم ممن هو أقوى منك، فلا تشتك إطلاقا وتجاهل هذه الإهانة، لأن الظالم يكره دائما ضحيته.

- أظهر العطايا التي تتلقاها، حتى القليل الأهمية منها، كما لو كانت هدايا عظيمة، إذا ما كان سيدك هو الذي قدمها لك، ورد على ذلك بإبداء محبتك له.

- ارفض بإخلاص مظاهر التشريف، وحاول أن تتلقى أقل قدر منها، فهي تسلط عليك الأضواء دون أن تخدمك بشيء.

◆ إثارة الحماس في العمل ◆

سجل كل سيئات المؤسسة التي تديرها، وأعط وعودًا بمكافآت، وكما يُقْدِم الجنرال قبل المعركة على وعد جنوده الذين سيجرحون في القتال بأنهم سيحصلون على أوسمة، في الوقت الذي يلتزم فيه بحماية مواقعه، فإنه سيرسل إلى أرض المعركة حزمة من الجنود الأشداء للدفاع عن المعسكر. وهكذا فإن الجيش سيذهب إلى القتال، وروحه مفعمة بالسلام.

◆ اكتساب الحكمة ◆

- احرص على أن تبقى صامتا معظم الوقت، واستمع إلى نصائح الآخرين وقيّمها ببطء. ولا تدع مشاعرك تسيطر عليك .

- لا تعط قيمة كبرى لكلامك أو لأفعالك، ولا تكلف نفسك بقضايا لا تجني منها أي فائدة حاضرًا أو مستقبلاً، ولا تتدخل في قضايا الآخرين.

- هلِّل وأظهر فرحك، بواسطة الكتابة ، لأعمال الآخرين، وكن مستعدا لإقامة نُصُب لهم، فإن مجدهم وفخرهم سينعكس عليك، وستكسب تأييدهم دون المخاطرة بإثارة غيرتهم.

- تجنب الخضوع لعواطف الغضب أو الرغبة في الانتقام، واستمع باهتمام لكل ما يروى عن فضائل الآخرين، وأبد إعجابك لمَنْ يستحق ذلك فعلا. ولا تعط نصائح إلا نادرًا، ولا تجعل روح المنافسة تسيطر عليك.

- تجنب الدعاوى القضائية، حتى وإن كنت ستتحمل ي بعض الأحيان نفقات أو تعويضات.

- لا تظهر لأي إنسان الأشياء التي تمتلكها، خوفا من أن تجتاح الرغبة أحدهم بطلب هذه الأشياء منك.

- إذا دفعك أحدهم إلى القيام بعمل ما ، فاحرص على أن يتحمل مخاطر هذا العمل معك.

- طالع كتب أصحاب البلاغة والفصاحة فهم يعرفون وسائل إثارة الكراهية، وردها على أصحابها، أو تخفيفها، ووسائل الدفاع عن النفس، والاتهام.

- يجب أن تكون قادرًا على الغموض بحيث يحتمل خطابك عدة تفسيرات، دون أن يكون هناك أي شخص قادرًا على حسمه باتجاه معين، لأن الضرورة تجبر على ذلك أحيانا، كما كان الحال مع أرسطو عندما سجل أفكاره عن طريق الكتابة[1].

- تقبل الانتقادات، حتى تلك التي لا تكون مبررة، ولا تقدم الأعذار لسلوكك، وإلا فإنه لن يكون عندها من يريد أن يقدم النصائح إليك، ولكن يمكن أن تبرهن كم أنت متأثر لخطئك.

- أما الانتقادات التي توجه إليك، وليس لها أساس من الصحة، فلا ترد عليها، وحاول بهذه المناسبة الاعتراف ببعض الأخطاء.

- تدرب وزود قدرتك على الدفاع عن قضية ما ونقيضها، ولذا عليك قراءة كتب البلاغة والمرافعات المنشورة.

- لا ترسل شخصا من خصومك يفكر في الاستيلاء على سلطتك في مهمة، فهو سيتصرف بعكس مصالحك.

- قارن بين صفات مستشاريك، لأنه من النادر أن تجد واحدًا بينهم تكون صفاته متوازنة بشكل طبيعي، وانظر إلى آية جهة تميل الثروة، أو إلى أية جهة يمكن أن تميل.

- تقبل تأنيبات ولوم مسؤولك، سواء كانت مبررة أم لا، واعذره دائما أمام الغير، ولا تذكره إلا بالخير، ولا تقدم أي وعد مكتوب، وخاصة لامرأة، بقدر المستطاع.

- تجنب الارتباط بما يجذبك ويغريك، وضاعف احتياطاتك وحذرك إذا ما حصل لك ذلك، ومهما كان وضعك صلبا راسخا، فلا بأس إطلاقا من تثبيته بقدر المستطاع.

---

(١) تجبر الظروف السياسية أحيانا بعض المفكرين على الغموض في أفكارهم واستخدام الإيحاء والإسقاط بدل الإيضاح والمباشرة، ويظهر ذلك عند تتبع الأعمال الأدبية التي أنتجت في عهود سيطر فيها القمع والاستبداد.

- بعد الانتهاء من عمل قمت به فكر فيه كما لو كان المقصود بذلك عملا يقوم به إنسان غيرك. وتمعن في أية مناسبات جعلت نفسك عُرضة للمفاجأة، أو ما هي الفرص التي ضاعت منك .

◆ الحذر ◆

- هناك شكلان من الحذر : الأول ، يقتصر على معرفتك مدى ثقتك بنفسك. وحتى عندما تكون مع أصدقاء لك في مكان بعيد، ابق على حذرك في اعترافاتك معهم؛ لأن الصداقات التي لن تخذلك يوما تظل قليلة جدا.

الشكل الآخر من الحذر يختلط مع نوع من الطيبة التي تمنعنا من أن نقول بعفوية لكل واحد حقيقته عن طريق إثبات أخطائه له كي يصحح سلوكه. هذا الموقف الذي لا يختلف كثيرا عن المداهنة مفيد جدًّا وهو تقريبا بدون أخطار.

- لا تسترسل إطلاقا وتطلق لنفسك العنان في البوح بأسرارك، لأنه ليس هناك إنسان لا يمكن أن يصبح عدوك في يوم من الأيام، ولا تقم بأي عمل تحت تأثير المرح، فإنك سترتكب أخطاء، أو ستقع في حبائل المكائد.

- لا تعتمد إطلاقا على الآخرين لإعطاء تفسيرات حسنة لتصرفاتك، فليس هناك إنسان في هذا العالم قادر على ذلك.

- لا تكتب شيئا في رسائلك لا يمكن أن يقرأه الآخرون، بل على العكس، اكتب فيها مدحًا للشخص الذي يمكن أن تقع رسالتك بين يديه. وإذا لاحظت أن شخصا يريد الحصول منك على معلومات ما عن طريق التظاهر بأنه على علم مسبق بما يريد معرفته، فلا تصحح له أخطاءه أبدًا عندما يقع فيها.

- استر عيوب الآخرين واعذرهم، ولا تظهر مشاعرك، أو تظاهر بمشاعر متناقضة.

- عندما تكون منتصرا في معركة ما ، لا ترد لعدوك أسراه من ذوي المقام الرفيع؛ لأنه إذا ما خانك الحظ، فإن عدوك سيكون لديه أسباب وجيهة للمحافظة عليك كي يسترد أسراه. بالإضافة إلى ذلك، احتفظ دائما بصلات دبلوماسية مع أركان عدوك وكبار رجاله، إلا في حالة الضرورة القصوى.

- لا تقم إطلاقا، وبشكل علني، بأي عمل لا تستطيع تبريره بسرعة لأن الناس سيحكمون عليك دون انتظار تفسيراتك، فنحن نعيش في عصر يُحكم فيه بسهولة على الفضائل الراسخة، فكيف إذا ما كانت هذه الفضائل مشكوكا فيها.

- إذا ما تقدم أحد أتباعك أو المقربين منك بالتماس ما، دعه يكتب طلبه تحت دعوى دراسة طلبه بشكل أفضل، ولكن لا ترد عليه إلا بصورة شفهية.

- إذا ما كنت مستغرقا في مناقشات شائكة وحرجة، حيث يمكن أن تقع في فخ كلماتك، أعلن مقدما أن كل ما تقوله هو مجرد مزاح.

- ناقض أحيانا محدثيك كي ترى ردود أفعالهم، ثم تابع إعطاء رأيك في نفس اتجاه رأيهم. وبهذه الطريقة تستطيع تبرير الأخطاء التي يمكن أن ترتكبها عن طريق التذكير بأنك كنت قد قلت لهم بأنك لا تتكلم بصورة جدية.

- إذا كنت متعلقا بلعب الورق، أو الصيد، أو النساء، أو أي هواية أخرى جامحة مسيطرة عليك، اعدل وتخل عنها بصورة نهائية، لأن هذه الهوايات تجعلك ترتكب هفوات عديدة.

- لا تقدم آراءك للأشخاص المتهورين، أو العنيفين، فهم لا يحكمون إلا على النتائج.

- لاحظ عيوب وفضائل كل شخص، إذ تستطيع بهذا الشكل، وفي حالة الضرورة استخدام هذه الوسائل أو تلك لتوجيه شخص ما حسبما تريد.

◆ التخلص من ضيف لا تريده ◆

- اتفق مع أحد المقربين منك بأنه بناء على إشارة منك محددة يأتي إليك لإبلاغك بأمر ما، عن طريق الهمس بأذنك، كما لو كان الأمر يبدو أن ثمة قضايا هامة تستدعي وجودك في مكان آخر بصورة عاجلة. أو أن أحد مساعديك الذي يحمل إليك رسالة يعلن عن كارثة، أو عن اضطرابات عند رعاياك. أو أن الطبيب منعك من الشراب أو الكلام.. إلخ.

◆ في المحادثات ◆

- يجب أن تعرف في البداية إلى أي نوع من المحدثين تنتمي، فالبعض منهم يكونون سيئين جدًّا في البداية ثم يتطورون تدريجيا، وحكمتهم لا تظهر فورًا كما لو كانت تنتظر وقتا معينا للظهور. والبعض الآخر، على عكس ذلك، عاقلون، ومقنعون، ولكن إذا طال حديثهم قليلا يصبحون سيئين، ويصدرون أحكاما كيفما اتفق، ويفتقدون تسلسل أفكارهم. فإذا ما كنت تنتمي إلى المجموعة الأولى، فلا تكثر من اللقاءات مع الآخرين، ولكن أطلها في حال حصولها. أما إذا كنت من المجموعة الثانية، فأكثر من اللقاءات ، ولكن اختصرها بمجرد أن تشعر أنها تركت انطباعًا حسنا.

- باعد بين زياراتك كي يكون لها قيمة، وحضر لما سيكون موضوع حديثك بحسب ميول محدثك. فمع هذا تتحدث عن المثاليات، ومع هذا تتحدث عن الفن العسكري، ومع ذاك في الأدب والشعر.. إلخ. ودع كل واحد يعتقد بأن لديك نفس ميوله.

- احرص على ألا تدلي بآراء عندما تشعر بأن فكرك مشغول في مكان آخر لأنك ستفقد انتباهك وتركيزك.

- احرص على أن تبدو حزينا مع المآسي، وغضوبا مع سريعي الغضب، وصبورًا مع رؤسائك.

- انتبه للظروف المحيطة بك، وانظر إذا ما كانت ملائمة لك أم لا، ولتجعل لك أصدقاء بين أولئك الذين يجعلهم انتماؤهم إلى حزب ما أقوياء، أو مع الذي يحالفهم الحظ، واستخدم كل الوسائل من أجل ذلك. وكن مستعدًا في كل مناسبة لمواجهة الوضع الذي أنت فيه.

- إذا ما كان يتوجب عليك الكلام عن شخص آخر، فلا تذكر اسمه أبدا، أو مكان وجوده، أو التاريخ أو الظرف الذي سيسمح لمن يسترق السمع إليك بتحديده.

- كن محترما مع الناس، في تصرفاتك وكلامك، ولا سيما مع رؤسائك.
- كن حذرًا ومتيقظا مع أولئك الذين يعرضون عليك مالا لارتكاب جريمة، فإنهم سينقلبون ضدك. وحاذر أيضًا من الموتورين واليائسين، فمعاشرتهم خطرة.
- كن قليل الكلام مع الأمراء والكبار فهم يفضلون أن تصغي لهم بدل أن يصغوا هم إليك، وكن فيلسوفا معهم بدل أن تكون خطيبًا، وابق محترما معهم حتى ولو بدوا ودودين جدًّا وغير متكلفين معك.
- أعط الأولوية للشيوخ واتبع نصائحهم، وأحطهم بالشرف والتقدير لأنهم يصبحون عدوانيين بسهولة، وامدح العظماء وكرمهم.
- تجنب الأشخاص الثرثارين، فهم لابد يرددون كل ما تقوله لهم.
- سارع إلى مدح ميول شخص ما ، وانتقاد ما يحتقره؛ لأنك إذا ما ذهبت إلى عكس آرائه، حتى وإن كان ذلك بصورة عفوية غير مقصودة منك.. فإنك ستجرحه. وعندما تكون منفردًا مع صديق تظاهر وكأنه الصديق الوحيد لك في هذا العالم.

◆ المداعبة ◆

- لا توقع نفسك أبدًا في الابتذال، سواء قولا أم فعلا.
- لا تمزح أبدًا في الأمور الهامة ، ولا حول العيوب الخِلقية أو اللا أخلاقية لشخص ما، لأنه سيحتفظ بذكرى مريرة من ذلك.
- لا ترو أبدًا مآسي الآخرين وتعاساتهم، سواء أكانوا غائبين أم حاضرين.. بإمكانك سماعها وليس ترديدها.
- كي تلطف حديثك دون أن يكون مبتذلا أو ثقيلا، اقرأ كتب أولئك الكتاب الذي تحفل كتاباتهم بالقصص، وكذلك الشعراء الذين تتعلم منهم إبداء مشاعر مرهفة.
- عندما تقوم بوصف ما، لا تعط أسماء، ولا تكشف عن آية تفاصيل غير ملائمة.

◆ المكائد وتجنبها ◆

- تظاهر بأنك على خصام مع صديق إن كنت تشك في مخالفته لرأيك، فهو سيخون مشاعره عندما تحين له الفرصة، ولتجعل هذه الخصومة المفاجئة فرصة لك كي تتخلص من روابط الصداقة معه، وتبعده عنك.

- إذا قام بعضهم بدفعك إلى عمل لن تخرج منه سالما، أظهر قبولا له، وحضر نفسك أمامهم لهذا العمل عن طريق إظهار الصعوبات التي تظهر فعلا، ولكن يجب أن تأخذ، وبشكل متواز، استعدادات مخالفة.

◆ كيف تحصل على المال وتحتفظ به ؟ ◆

- لا تحتقر ما تحققه من تقدم، وتجنب النفقات بصورة عامة.

- استعمل الاقتصاديين ذوي الكفاءة وتعلم منهم طرق الإدارة.

- انظر ماذا يمكن بيعه من منتجات أراضيك واسهر على مزروعاتك وأرضك، واستخدم الفنيين لذلك.

- كن على علم بكل أنواع الإنتاج، واطلب إعلامك بها بصورة منتظمة.

- إذا ما واجهتك نفقات جَديدة، حضر مسبقا وسائل تمويلها، وابتكر عائدات إضافية كي لا تجد نفسك في حالة عجز، فإذا ما قررت مثلا إنفاق أربعة آلاف قطعة ذهبية لاستخدام جنود أشداء ، عليك مسبقا فرض ضريبة على أي شيء ترفيهي، كي توازن النفقات التي التزمت بها.

- لا تحتفظ عندك بأي أشياء ثمينة معرضة للتلف أو الكسر مع الاستخدام، ويكفي أن تستعمل الأدوات التي تناسب مقامك.

- لا تشتر الأوعية الفضية التي تستمد قيمتها من عمل صانعها الفنان؛ لأنك إذا اضطررت إلى بيعها يوما ما بسبب الحاجة مثلا، سوف تكتشف أن هذا كان استثمارا سيئا.

◆ منح التكريم والحصول عليه ◆

- أثبت أولا أنه لا غِنى عنك إطلاقا لأي وظيفة ما، عن طريق براهين بأنك أنت المقصود والمأمول للحصول على هذا الشرف الكبير، ثم تبدأ برفضها مدعيا بأن الوظيفة التي أنت فيها حاليا تؤمن لك الامتيازات المرتبطة بهذه الوظيفة.

- أعلن أيضا أنه بفضل نصائحك الجيدة تم إيجاد الوسيلة لتحقيق مشاريع تخدم عامة الشعب، مثل بناء المستوصفات العامة للمرضى، دون اللجوء إلى المساهمات الشعبية.

- لا تعتمد على قيمتك الشخصية، وعلى مواهبك للحصول على وظيفة، ولا تتخيل أو تظن أنها ستكون لك تلقائيا بحجة أنك الأكثر أهلية وجدارة لشغلها، لأنه يفضل دائما إعطاء الوظيفة لإنسان غير مؤهل، بدلا من إعطائها لذلك الذي يستحقها. تصرف إذن كما لو كنت لا تريد الاعتراف بوظائفك إلا بفضل سيدك وكرمه عليك.

- للحصول على وظيفة ما استبق الآخرين، واقطع وعودًا بترقيات غير قانونية واستخدم وسطاء، ثم لا تضيع إطلاقا الفرصة للوفاء بالخدمات التي وعدت بها.

- قلل من قيمتك الذاتية في العلن وقل بأنك غير أهل لهذه الوظيفة، وإذا ما حصلت عليها، فإن اعترافك بالفضل يجب أن يكون كبيرا جدًّا.

- إذا كانت الوظيفة التي تشغلها تستلزم نفقات ضخمة، وإذا ما كانت مواردك الشخصية أكبر من كل موارد الآخرين، وكي تتجنب أن تذهب هذه الوظيفة إلى شخص آخر، استثمر كل عائدات هذه الوظيفة في إنشاء مؤسسات دائمة. وبهذه الطريقة فإن من سيشغل هذه الوظيفة من بعدك سيكون مضطرا للاعتماد على موارده الذاتية، وستبقى موارد الوظيفة داخل المؤسسة التي بنيتها.

- يجب دائما النظر إلى الأمام، وإذا ما التزمت بدراسات، فعليك وضع كل طاقاتك فيها، دون أن تترك نفسك تسترسل في هذا الترف الثقافي الذي يبحث عنه بعض العلماء في دراساتهم. وإذا ما كنت تسعى إلى الفضيلة، فلتكن الفضيلة

الكبرى والمثلى. وإذا ما كنت تبحث عن التكريم، فعليك الطموح إلى أعلى مراحله لأنه سيشكل ضمانة لك[1].

◆ الرد على الالتماسات ◆

- لا ترد على الالتماسات بصورة سلبية فورًا، ولكن ضع رفضك من خلال خطاب طويل، وإذا رفضت شيئًا ما لأي إنسان فلا تغير رأيك بسرعة، وإذا ما عدلت عن رفضك فليكن ذلك لأسباب وجيهة.

- عندما يكون عليك الرد بصورة سلبية على طلب مقدم إليك، فكِّر لحظة، ثم تصرف كما لو كنت فعلا متأسفًا لعدم قدرتك على الإجابة على هذا الطلب. كذلك يمكنك الاتفاق على إشارة معينة مع أحد خدمك كي يأتي بعد برهة من الوقت ليعلن لك بأنه وصلتك رسالة، أو أنه حدث عندك أمر مكروه، وليشر إلى طالب الالتماس بالصوت والحركة بأنك لا تستطيع تلبية طلبه. ولكن على أية حال هنئه على مسعاه، وإذا ما ألح على طلبه اسأله من جهة أخرى كيف تستطيع أن تثبت له صداقتك. اطلب عند هذه المرحلة من أحد خدمك، الذي يكون على علم مسبق بذلك، أن يهتم به، وأن يسهر على مصالحه بصورة دقيقة.

- إذا أرسلت أنت طالبك إلى شخص آخر، تجنب أن يذهب ويداه فارغتان، وأرشده إلى المسعى الذي يجب عليه اتباعه كي يقابل ذلك الشخص الذي ترسله إليه.

- صغار الناس هم أولئك الذين يتحمسون بسرعة، وعواطفهم تنطفئ بسرعة أيضًا، وإذا ما حاول أحدهم التماس شيء ما منك بصورة مفرطة، لا ترفض طلبه فورًا، ولكن دعه ينتظر مستخدمًا حججًا وأعذارًا خاصة مصحوبة بكلمات جيدة. وإذا كانوا متمسكين بشيء فلا تقلق أبدًا، لأنهم سيعدلون عنه، أو أنهم حتى سيتحمسون لشيء مناقض له تمامًا.

---

(١) أشبه هذا قول المتنبي:

إذا غامرت في شرف مروم ... فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمر حقير ... كطعم الموت في أمر عظيم

- كن واثقا ومتأكدًا بأن كل علامات وأمارات الحقد التي يبديها لك الآخرون صحيحة، لأن في الحقد، على عكس الحب، ليس هناك رياء.

- إذا لم يكن في مقدورك رفض وظيفة لشخص ما، أعطه منصبا يشكل خطرًا عليه، لكن دون إلحاق المخاطر بالإدارة العامة.

- ضع بيانا بأعمال وتصرفات مخدوميك عن طريق العودة إلى السجل الذي سجلتها فيه، وهكذا تقيل البعض من وظائفهم، وترقى آخرين، وتوزع مناصب، وتصغي إلى مطالب.

- دع الجميع يعلم بأنك إذا ما كنت تستمع لكل الطلبات المقدمة شخصيا، فإنك ترفض بصورة قاطعة كل الطلبات المقدمة عن طريق الوسطاء، وأخيرًا لا تقطع على نفسك أي تعهد لمدى طويل.

◆ إظهار العواطف ◆

- راقب التصرفات العاطفية عند الشعراء، وتدرب جيدا على لعبها وقت الحاجة لدرجة تطبعك بها إن صح القول.

- لا تكشف لأي إنسان عن مشاعرك الحقيقية، والعب دور المخلص.

- زين قلبك مثلما تزين وجهك، وأيضا نبرات صوتك مثل كلماتك، فمعظم المشاعر تُقرأ على الوجه.

- إذا كنت ذا طبيعة متخوفة ومتوجسة، سيطر على خوفك معتبرا بأنك الوحيد الذي تعرف ذلك، وتصرف كما لو كنت شجاعا، وتصرف بالطريقة نفسها بالنسبة للمشاعر الأخرى.

- في الأعياد والاحتفالات، احرص على أن تكون احتفالاتك رائعة ذات أبهة وخارجة عن إطار المألوف، ومتميزة بالعظمة؛ لأن المهم في كل احتفال ليس فقط النوعية، وإنما الندرة والطرافة.

◆ تجنب الخسائر ◆

- كن متيقظا لأبسط الخسائر وأقلها، وعلى مستخدميك أن يعلموك بها فورًا مع المخاطر المصاحبة لها في حالة عدم إصلاحها، ثم وسائل القيام بهذه الإصلاحات.

- إذا ما كنت مسؤولا عن الإدارة، قدم كشفا بكل ما يدخل وما يخرج، وكن أمينا، ولا سيما إذا كان سيدك يبدي عطفه عليك.

◆ ستر الأخطاء ◆

- إذا حدث أن تفوهت بجملة خطأ، أو إذا تصرفت بصورة غير لائقة، تظاهر فورًا، وكأنك قمت بهذا عمدًا لإثارة الآخرين، أو لتقليد شخص ما، واضحك كما لو كنت مسرورًا من تصرفك. أو يمكنك أن تظهر أسفك لأن أحدًا لم يفهمك جيدًا.

- إذا أخطأ أحدهم عن جهل منه ، فلا تثبت عن طريق طرح الأسئلة أنك كنت ستقع في نفس الخطأ لو كنت في نفس الوضع. ولكن فكر في أفضل طريقة لمعرفة الحقيقة.. اسأل مثلا شخصا آخر: ماذا كان سيفعل لو كان في نفس الموقف؟ مع إخفاء رأيك عنه من أجل تغطية جهلك.

- إذا كنت نسيت شيئًا كنت قد قلته من قبل - وهذا يحدث عندما تتكلم بإخلاص - انتبه كي لا تقول العكس ، ولذا من الأفضل تسجيل الأساسي مما نقوله.

- انتبه لعدم الخلط بين الناس، لأنك إذا أخطأت في تحديد هوية محدثك، فإنك ستكشف عن جهلك مع الأول، وستطلع الثاني على نواياك التي يجب ألا يعرفها، ولذا خذ احتياطاتك مسبقا كي تتجنب الاثنين معًا.

◆ الدفع إلى كره الخبثاء ◆

- إذا كنت تريد أن يفقد ذلك الشخص الثقة بمن يحميه، امدحه، ولكن بطريقة يبدو فيها المديح وكأنه تهجم عليه هو وسيده. وأضف إلى كلامك بأن ما تقوله هو فقط ما تروجه الإشاعات، وأنك لا تتكلم بصورة شخصية، تاركا إياه يستخرج بنفسه النتائج الواضحة والتي تتعلق بسمعته، ودعه يفهم أن سمعة مَنْ يحميه أصبحت فعلا سيئة، مشجعا إياه على احتقار الرأي العام، وعلى ترك كل هذه الإشاعات تموت لوحدها، وهكذا سيفهم من كلامك بأنه معنيٌ بذلك شخصيا.

- امدح رأفته وكرمه، وتظاهر بالتعاطف معه، وتكلم بلهجة مشحونة بالمشاعر عمن يحميه مبالغا في كلامك. قل مثلا: (أين مثله رجل نادر الوجود، وكم هو مؤسف أن تشوّه بعض الممارسات المشينة سمعته) ولكن دون أن تذكر هذه الممارسات.

- احرص دائما على ألا تهدد أبدًا الشخص الذي تنوي محاربته، لأنه سيستعد لذلك، ولكن دعه يتصور أن قواتك أقل من قواته، وأنك حتى لو أردت محاربته ، فإنك لن تستطيع فعل شيء ضده. أعد معه روابط الصداقة لتكسب ثقته، واجعل جواسيسك في المكان الذي تلتقي فيه معه من أجل حديث ما، ثم ادفعه للإدلاء بأقوال متطرفة، كأن يتحدث بسوء عن الأمير مثلا، عندئذٍ تستطيع الوشاية به.

- بالغ في وصف الأعمال القبيحة التي يرتكبها عدوك، والمآسي التي ستنجم عنها إذا لم تتم معاقبته. وكي لا تبدو مدفوعا بعاطفتك تدخل لدى الأمير كي تطلب العفو عنه، لكن دون أن تسعى للنجاح في ذلك.. إذ عليك الاستفادة من هذا الأمر للإفاضة في الحديث عن صفاته القبيحة ، مفسرا بصورة ذات مغزى طباعه وأفعاله من أجل الإضعاف من مركزه، وبمجرد أن تسنح لك الفرصة ادفعه للهاوية.

- لا يجب عليك إطلاقا محاربة عدة أعداء في وقت واحد، وعندما تهاجم

أحدهم يكون من المستحسن لك أن تعقد صلحا مؤقتا مع الآخرين.

- تأكد أولاً من صلابة وقوة وضعك قبل أن تهاجم أحدًا ما، ولا تترك نفسك أسير عاطفة الثأر مضيعًا الفرصة للتقدم في أعمالك.

◆ إنهاء صداقة ◆

تجنب قطع العلاقات والصداقات المفاجئ، حتى وإن بدر من صديقك سلوك مشين تجاهك، وأنت على حق، ولا يجب أن تشعر تجاهه بالكره، بل سامحه، ولكن أطفئ كل عاطفة في نفسك تجاهه تدريجيا، واترك عرى الصداقة تنفصم بهدوء داخل قلبك.

- أيضا، تابع اللقاءات معه، وتكلم معه إذا ما اقتضت الظروف ذلك من أجل بعض الأعمال ولكن بجمل موجزة قصيرة.

- ادعه لمائدتك كي لا تترك انطباعا عنك بأنك لا تتذكر صداقتك مع الناس إلا عندما تكون في حاجة إليهم.

- إذا كنت متأكدا أو تفترض بأن أحدًا ما هو صديق مقرب جدًّا من الحاكم، جرب معه هذه التجربة: أقنع هذا الذي يتبجح بهذه الصداقة مع الحاكم أن يطلب منه شيئا يمسك به بصورة خاصة، والذي لا يمكن أن يعطيه إياه مرغما، أو أنه سيرفض ذلك صراحة، وبعد أن يواجه الفشل في هذا المسعى، وفي أثناء حديث عرضي، بالغ في إبراز عدم أهمية هذا الشيء المرفوض، وبالغ في أهمية الرفض.

◆ مدح الآخرين ◆

- تكلم بلهجة صادقة ، وقل بأن الكلام يخرج من قلبك، وأنه ليس في ذهنك سوى خير البشر، وفي الوقت نفسه أكد بأن لا شيء يزعجك أكثر من الإطراء. ثم تابع كلامك قائلا بأنه يجب تفهم وداعة ورأفة الأمير، وأن خشوعه العميق وتقواه هما سبب عدم قسوته.

- لا تتلفظ أبدًا بمدائح يمكن أن تفهم على أنها انتقادات مباشرة ضد الغير، إلا إذا كنت موجودًا وسط حشد من الناس، حيث كل الناس يصرخون في نفس الوقت، دون أن يعرف أي إنسان ماذا يقول الآخر.

- لا تتكلم عن فضائل صديقك، واستر نواقصه !!

◆ كظم الغضب ◆

- تجنب أن تغضب بسرعة ضد أي إنسان كان، لأنك غالبا ما تلاحظ أنه قد تم تضليلك من خلال تقارير مزيفة، وإذا ما تركت نفسك على غضب فإن الأخطاء ستصيبك.

- إذا ما وُجِّه إليك أي انتقاد، فإن أفضل جواب تعطيه هو أن تبرهن بأنك فهمت سخافة هذه الأقوال أو نواياها السيئة. والعب دور البريء بردك على الكلمات وليس على المعنى، ثم تظاهر بأنك مشغول بمسألة أخرى.

- إذا ما تهجم أحدهم عليك، ليس عن طريق الإشارة إليك بالاسم، ولكن بإشارات واضحة إلى عمل كنت أنت قد قمت به، أمسكه بكلامه، وندد بهذا العمل، وبالناس القادرين على ارتكاب مثل هذه الأعمال البشعة، بحيث تبدو كما لو أنك لم تفهم أنك أنت المقصود بهذا الكلام، أو تظاهر بأنك لم تعرف ما هو المقصود، وجاوبه حول قضية أخرى. ولكن إذا وصلت به الدرجة أن يسميك بالاسم، تظاهر بأنه يمزح معك، وابذل جهدك كي يثور ضدك. يمكن أن تجاوبه ببعض النكات التي تضحكه، أو ضخِّم اتهاماته ضدك كما لو كان المقصود شخصا آخر، وأضف إليها الكثير حتى يصبح في حرج من انتقاداته، ثم انزع سلاحه نهائيا مبرهنا له بأنه ما كان عليه تجهيز كل قواته ضدك.

- إذا ما استقبلك أي شخص بصورة غير لائقة، لا تقل شيئا، ولا تظهر مزاجك السيئ عن طريق التظاهر بأنه استقبلك كما يجب؛ لأنه سيحاول عندئذٍ تصحيح أخطائه نحوك بأعمال جيدة.

- إذا ما لاحظت بأن أحدًا ما يفتش عن إثارة مشكلة معك، وإذا لم يكن ثمة وسيلة لتجنب ذلك، فإن عليك تغيير هذا الوضع عن طريق رواية بعض القصص

القصيرة المسلية حتى تحول موضوع الحديث إلى اتجاه آخر.

- اترك لخصمك الوقت الكافي ليتأكد من سوء عمله، متجنبا لفت انتباهه لذلك، حتى تنزع منه كل حجة للثورة أو الغضب.

- إنه لمن الصعب جدًّا الثورة ضد شخص لم يف بوعد قطعه على نفسه خلال فترة محدودة، لأنه لابد أن هناك ما منعه عن ذلك؛ لذا تجنب طلب تعهدات من هذا النوع.

◆ إنزال العقوبات ◆

- لا تمارس العنف إطلاقا بصورة شخصية ، وكن حذرًا من عدم ارتكاب جريمة قتل، وإذا ما كان عليك معاقبة أحد بقسوة، وإذا لم تكن ضدك وقائع وأدلة خطيرة تتهمه بها، فإليك طريقة العمل: اقتص من ابنه على خطأ بسيط كان يمكن أن تسامحه عليه، أو أنك تعاقب عليه في العادة بصورة بسيطة. عندها سيثور الوالد، وسيبدأ في الكلام والشكوى. ضاعف العقوبة على ابنه كي يضاعف شكواه. عندها اتهمه بالتمرد وعاقبه بقسوة على هذا العمل الخطير.

- قد يحدث أن تؤدي عقوبة ما إلى إثارة الشباب بدلا من تهدئتهم، لذا فإن عليك تلبية الطلبات التي لا تضر بشيء.

- إذا ما طردت أحدًا من بلاطك، أو من بيتك، أو من أشغالك، وإذا ما أسف الآخرون لهذا العمل، اشتك من تصرفات هذا الإنسان الذي طردته علنا، وقل بأنه كان يقدم لك نصائح سيئة، وأنك تأسف لأنك لم تنتبه إلا مؤخرًا لكل الضرر الذي كان يلحقه برعاياك، عندها سيفرح أولئك المتأسفون على سقوطه، لأنهم سيرون أعمالهم تسير بصورة سيئة.

- إذا أردت معاقبة شخص ما لتقويم سلوكه، ناقش معه طريقة العلاج التي يجب أن يخضع لها. فهو يفضل أن يجد العلاج بنفسه، وبالتالي سيفرض بهذه الطريقة عقوبته الذاتية.

- كن عدوًّا لكل أشكال التفتيش التعسفي، وأغمض عينيك عندما تستطيع ذلك دون أن تضر أحدًا.

- لا تحكم على ذوي الأصل العريق بعقوبات قاسية، ولا تعاملهم مثل العامة.

- إذا أردت إعادة إنسان إلى طريق الصواب ضعه في وظيفة أو مكان حيث سيكون عليه تصحيح أخطاء الآخرين المماثلة لأخطائه. مثل أن تعين مدمنا للكحول مسئول عن محاربة الإدمان.. إلخ.

- إذا ما قبل شخص ما بتنفيذ العقوبة علنا وبصورة مشرفة تجاوب مع أمانيه التي وضعها في هذا التصرف ولا تدفعه إلى زيادة أخطائه. اقبل بتعديل عقوبته، وراقبه بعد إصدار الحكم، كي ترى هل أصلح من سلوكه وحياته.

- عندما تتوجه إلى متهم لا تدعه يشعر بأنه ليس هناك أمل له، وأن الاستماع إلى جرمه من شأنه إثارة غضبك. بل بالعكس، برهن أمامه على طبيعة تميل إلى الرأفة والرحمة.

◆ وضع حد لتمرد ◆

- لا توافق على مقابلة عدة متمردين في نفس الوقت من أجل التفاوض معهم ، بل عليهم أن يعينوا مندوبا عنهم يمثلهم.

- كل ثورة لابد أن لها سببا - كما يقول الفلاسفة - وإذا كانت هذه الثورة بسبب الديون، فعليك إصدار أمر بتأجيلها.

- عِد بمكافأة لكل شخص يعيد السلام المدني، أو يجد لك وسيلة للقيام بذلك، أو أن يكون قضى على المشاغبين، أو قام بتسليمهم.

- عندما يغرق الشعب في فوضى عنيفة، اتخذ وسطاء من الناس ذوي السمعة الطيبة كي يعيدوا الشعب إلى الفضيلة عن طريق تذكيره بالله والتقوى، لأن هذه المشاعر هي التي تستطيع تليين الأفئدة لوحدها.

- روج إشاعة مفادها أن قادة الثورة لا يسعون إلا إلى مصلحتهم الشخصية ويهدفون إلى الطغيان، ولو كان ذلك بتعاسة ودم الآخرين، وأنهم غير مستعدين لتقاسم أي شيء مع الآخرين.

◆ الاستماع إلى المديح ◆

- يجب أن تمتلك الحكمة لرفض المدائح القائمة على المقارنة أو المدائح المبالغ فيها، حتى ولو كان لها أساس من الصحة؛ لأنه من الصعب على الناس تصديق ما هو مبالغ فيه.

- إذا قام إنسان ما بمدحك أمام الأمير بشكل مكشوف.. اسأل نفسك إذا ما كان قد اتهمك بشيء في أثناء غيابك.

- عندما يمدحك إنسان بصورة مبالغ فيها قل لنفسك بأن هذه مسرحية يتم لعبها أمامك. وعندما يكون كل ما تقوله مقبولا، أو عندما يتم إضفاء القداسة على أعمالك، فإن عليك الحذر من كل هذا.

- لا تدّع أو تسهب في شرح إمكاناتك الواسعة، فإنك بذلك تعطي معلومات عنك لخصمك. وإذا ما أردت التعريف بعظمتك عن طريق نشر سيرة حياتك، فيكفيك كتاب صغير يستطيع كل الناس شراءه، ويحظى برضى القراء في كل مكان. يمكنك أيضًا أن تتصل بالكتاب المختصين في هذا النوع من الكتابات كي يدخلوا اسمك وأعمالك في مؤلفاتهم. بهذه الطريقة فإنهم يخدمون شهرتك أكثر من كتاب ضخم لا يريد أي إنسان شراءه.

◆ الحفاظ على السّلم الداخلي ◆

- لا تحدد لنفسك مهلة لتسوية قضية ما ، ولا تأخذ على نفسك أي تعهد شرف بعدم تجاوز هذه المهلة؛ لأنك خلال هذا الوقت ستكون مجبرًا على إهمال العديد من القضايا التي قد تطرأ بشكل مفاجئ، كما أنك إذا واجهت عقبات في تسوية هذه القضية ستنزعج.

- أقنع نفسك بأنه من المحتمل أن يقوم أحد أتباعك بارتكاب خطأ ما في يوم من الأيام، فليس هناك شيء مضمون بشكل مطلق.

- إما أن تكون أمينا على السر الذي تؤتمن عليه، وإما أن ترفض معرفته

والاطلاع عليه.

- تجنب ترك أموالك في مكان معروف، ولا تتجاوز تعابير التهذيب العامة مع الناس الذين تشك بثرثرتهم الأكيدة.

- لا تقطع على نفسك عهدًا بشكل عفويّ بالتدخل لمصلحة الآخرين، لأنك إذا لم تتوصل إلى ذلك لن ينالك إلا الهم والقلق.

- لا تقم شخصيا بتسوية مسائل مع الحرفيين، ولا تتعامل أبدًا مع النسوة اللاواتي يذرفن الدموع بسرعة، ولا تعاندهن .

- إذا حاول أحدهم أخذك إلى مكان لا ترغب في الذهاب إليه، ارفض ذلك واضعًا مصلحة أعمالك في المقدمة.

◆ مواجهة التهجمات على شخصك ◆

- إن نوازع الخبث في طبيعة الإنسان تظهر واضحة جلية في مجال الإطراء والمديح والتزلف والتملق.

- خذ القصاصات المكتوبة إليك والتي يتهجم فيها كاتبها عليك، واقرأها بنفسك، واطلب من الآخرين قراءتها، واسخر منها كي تثبط من عزيمة مؤلفها.

- تجنب مواجهة الهجاء في العلن.. تذرع بأعمالك ولا تخرج من بيتك، وإذا ما وجدت نفسك مجبرًا على ذلك اقرأ النص الهجائي عدة مرات، وتعلم أن تضحك من هذا.

- تظاهر بالعواطف التي تناسب الوضع الذي أنت فيه: تخيل مواقف الجماهير واخترع ردودًا عليها مبديا الحرص على أن تكون ملائمة للعواطف التي قررت إبداءها.

- لا تُخْف بشكل دائم انفعالاتك في كل مرة يحدث لك فيها مكروه، حتى لا يستنتج الآخرون من صمتك بأن حادثا ما قد وقع لك.

- إذا أردت تقديم تعازيك لشخص ما بمناسبة حدث جَلَل أصابه، احرص على التمسك بالتعابير العامة التي يقترحها البلغاء، دون أن تضيف إليها شيئا شخصيا، حتى لا تصبح مؤاساتك نوعًا من التقريظ.

- إذا ما تهجم عليك أحد بحضورك، كن يقظا، ولا تقل أي كلمة سواء لوما أو مديحا، فهذه وتلك ستجلب لك الكره ممن حولك.

- إذا ما انتقدك رؤساؤك تكلم عنهم بالخير، ولا تسمح لأي إنسان بالإشارة إلى ما حدث، حتى وإن كان هذا يرضيك.

- اترك للآخرين المجد والشهرة، وابحث أنت عن واقعية السلطة.

- إذا ما رقيت إلى وظيفة تتضمن جزءًا تشريفيا، عين خصمك معك، كي تتجنب المشاكل التي يمكن أن يثيرها لك، واترك الجانب التشريفي من الوظيفة له، واحتفظ أنت بالسلطة الحقيقية.

◆ تعديل السلوك ◆

- إليك كيف تعدل سلوك الناس ذوي الأصل العريق: امدح أفعاله، حتى تلك التي ليست بذات أهمية كبرى، فإنك بذلك تزيد من وفائهم، ولكن في نفس الوقت، أعلمهم سرًا بانتقاداتك لهم بواسطة أصدقاء.

- إذا ما وقع إنسان في علاقات غرامية غير شرعية، وأنت ترغب في إنقاذه منها، أغرقه بالأعمال المعقدة التي تشغله، وادفع الآخرين لمراقبة كلماته وأفعاله، وادفعهم للشهادة ضده، ولا تتوقف عن انتقاد كل ما يقوم به، حتى يَعْدِل عن علاقاته القديمة التي كانت مثالا سيئا له.

- ضع شريكا ضعيفا مع رجل عنيف ، وإنسانا متحمسا مع شخص خامل.

◆ مواجهة المشاعر المثارة ◆

- إذا ما انتشرت عواطف خاطئة بين أفراد الشعب، فإن من الأفضل لك إخفاء مشاعرك، لأن عداءك لها يسبب لك معارضة سياسية. من هنا تأتي أهمية عدم الظهور في العلن في مثل هذه الحالة، وإقناع أولئك الذين يحملون نفس العواطف إنك مثلهم. وأفضل حل عندئذ هو أن تغرق نفسك في اللهو والاحتفالات كي تنسى العواطف التي تريد إخفاءها. وبالتالي فإن أي إنسان يراقبك لا يمكنه أن يعرف إن كنت غاضبًا أو مسرورًا.

◆ القروض ◆

- عندما يقوم أحد موظفيك بإعطاء قرض اؤمره أن يجعل المدين يوقع على لائحة تفصيلية. كما أن عليه أن يتصرف في هذا الأمر كما لو لم تكن أنت على معرفة بالقرض، وأنه قام بذلك من تلقاء نفسه، ولذا فإنه يطلب من المدين مثل هذا الضمان.

- إذا لم يكن في استطاعتك رفض طلب قرض، ولا ترغب فعلا في منحه، فإن عليك الادعاء بأنك أنت نفسك مدين، وتظاهر فعلا بأنك تبحث عن دائن يقدم لك القروض. أو أن تقول بأنك لا تملك المال الذي يطلبه صديقك، ولكن تستطيع إيجاده له دون أن يدفع فوائد، ويكفي أن يقدم لك ضمانا.

◆ الحصول على الحقيقة ◆

- لمعرفة ما يفكر فيه أحدهم عن سياستك بث آراء مماثلة لآرائه بواسطة شخص آخر، أو اقرأ بنفسك نصا تكون أنت قد كتبته ولكن تدعي أنه من صنع شخص آخر.

- إن الصداقة قد تدفع أحيانا أصدقاءنا إلى سوء التقدير، وليس ذلك بسبب أن الأصدقاء الذين يمتدحوننا ويشجعوننا على المبادرة غير مخلصين، ولكن لأن تفهمهم لنا يتناقض مع التقدير الصحيح الذي يفترض عند القيام بأي عمل إلا بعد الحصول على معلومات نبني عليها تقديرنا، ودراسة الظروف والأوضاع.

◆ اتهام الآخرين ◆

- لا تلجأ إلى الشكوى إلا كحل أخير، ولا تتقدم بدعوى ضد أحد إذا كنت تعلم أن مكانته عند القاضي أفضل منك.

- إذا تقدمت بدعوى ضد شخص ما، وكان الحق إلى جانبك تصرف كما لو كنت على خطأ.

- اذهب لرؤية القضاة ومعك الهدايا واستقبلهم عندك.

- حاول إيجاد وسطاء يستطيع خصمك التفاهم معهم.

- احص بدقة وبذهن صافٍ الاعتراضات التي يمكن أن يقدمها خصمك ضدك، وكيف تستطيع الرد عليها، ولكن احتفظ بكل هذا بصورة سرية، ولا تبح به لأحد.

- لا تدع نفسك تنساق، تحت أي حجة أو عذر، إلى تعداد حقوقك وامتيازاتك أمام أيٍّ شخص كان، لأنك بهذا الشكل تكون قد أعلمت خصمك بصورة مباشرة بالحجج التي تريد الاستناد إليها.

- اسأل عن طباع خصمك: هل هو جبان؟ أم عنيف؟ كيف تتأقلم معه؟ فإذا ما كان عنيفا تجنب اللحظات التي يكون مهتاجًا فيها، وإذا كان جبانا عليك التصرف تجاهه ببطء.

- احذر أيضا أن يعلم خصمك أنه متهم، أو أنك أقمت الدعوى ضده. إنه يجب أن يتلقى الاتهام بصورة مفاجئة، دون أن تدع له الفرصة أو الوقت للدفاع عن نفسه.

- اختر محاميك جيدًا، وليس المهم فيه قيمته أو صفاته، إنما المهم أن يكون على علاقات جيدة مع القاضي. أشركه في قضيتك، وأقنعه أنه إذا ترك الأمور على مجراها فإنه سيجد نفسه في نفس الأخطار المحيقة بك.

- يجب أن ترتدي اتهاماتك طابع الصداقة، وليس الطابع القانوني أو الرسمي، وأضف إليها بعض التفاصيل السيئة المستوحاة من عيوب القاضي نفسه.. فالقاضي هنا سيعتقد أنه من السهل عليه التعرف على هذه المفاسد، بل يمكن أن تصل به الدرجة أنه سيظن أن سمعته وموقفه وحتى حياته، ستكون مهددة في قضية من هذا النوع.

- تظاهر أمام القاضي بأنك تتفهم موقف خصمك، لكن حرصك على المصلحة العامة يدفعك للتصرف بهذا الشكل.

◆ عندما تكون أنت متهما !! ◆

- حاول أن تظهر بمظهر ذلك الذي لا يعرف أن هناك شكاوى مقدمة ضده، وتجنب تصحيح سلوكك بصورة مفاجئة فيما يخص هذه الشكاوى، حتى لا يكشفك خصمك، وأن يكسب اعتراف ذلك الذي يشتكي إليه منك.

- تكلم عن خصمك كما لو كان عدوًّا شخصيا، وأضف بأنه واشٍ محترف، وأن من عاداته استخدام نفس الاتهامات عندما يهاجم الآخرين أمامك، وأن أمثاله لا يتصرفون بحكمة أو بمسؤولية اجتماعية، وأن على القاضي أن يعتبر هذا الصنف من الناس ليس كحلفاء ولكن كمخربين، وأنه - أي القاضي - إذا ما أصغى إليهم، بحجة أنهم سيكونون نافعين، فإنه سيتحمل النتيجة يوما ما بصورة شخصية.

- اعتزل، واهتم بأعمالك كما لو أردت أن تنسى عن طريق الاهتمام بأمور جدية فعلا، ولكن احتفظ بكراهيتك تجاه ذلك الذي وشى بك، وانظر ماذا يجب أن تفعل في هذا الوضع الذي خلقته لك وشايته.

- إذا كان يتوجب عليك الرد على عدة اتهامات في وقت واحد، فلا تنكرها كلها حتى لا تفقد مصداقيتك، ولكن اعترف بذنبك عن بعض الاتهامات، حتى وإن لم يكن ذلك صحيحا، ذلك حتى تثبت وداعتك، وكي لا تظهر بمظهر ذلك الذي لا يقبل الانتقاد.

- وإذا علمت أنه قد وُشِي بك لسيدك، فإنه من الأفضل ألا تحاول تبرير تصرفك إلا إذا طلب منك ذلك؛ لأنك لن تقوم سوى بتعقيد الأمور وجلب الضرر لنفسك. والعكس هو أن يكون أول رد فعل لك هو تجنب أي تبرير، وأن تتهم الآخرين، قبل أن تكون متهما.

◆ تدوين مذكرات الرحالة ◆

• في زياراتك للمدن والأرياف قم بالآتي :

١ - سجل كل ما يبدو جديرا بذلك، سواء أكان جيدًا أم سيئا، وبلغة غير مفهومة حتى إذا ما وقعت كتاباتك في أيدي الآخرين لا تجرح شعورهم.

٢ - زُر كل شيء : الأماكن العامة والخاصة، والمعابد، والقصور، وقبور الرجال المعروفين.. إلخ.

٣ - قم بإحصاء التلال، والجبال، والغابات، والأودية، والأنهار، والينابيع وأصل أسمائها.

٤ - سجل مواقع المدن، ومناجم مختلف المعادن، وقائمة بالأعياد الدينية والوطنية وكل شيء تزوره بدقة.

٥ - سجل في كل مدينة طريقة إمدادها بالماء، والطرائف الموجودة بها، والحصارات التي تحملتها، وأصل العائلات الكبيرة فيها.

٦ - تعرف على الفنون الموجودة فيها والحرفيين الذين يمارسونها ومخازن السلاح وآلات الحرب والقصور، وعادات الطعام، وأهمية السكان.

٧ - تفهم نوع النظام السياسي، وأهمية الاحتفالات في أثناء الأعراس والمهرجانات.

٨ - استعلم أيضا عن التجارة والدين والدراسات وكل ما يميز أي شعب عن غيره من الشعوب، وعليك أيضا أن تسجل كل ما يفتن أي شعب، أي ما يستطيع أن يهزمه.

٩ - قل كلامًا حسنا عن الشعب الموجود أنت عنده، وكلاما لاذعا عن الشعوب التي تتناقض عاداتها مع عاداته.

◆ القراءة ◆

- اقرأ كتبا تتحدث عن أساليب التأكيد، والبرهان، ونظام وموقع الكلمات، والإسقاط ، والإثبات، والحجة، والقياس، وكيف تطرح الأكبر، وتثبت الأصغر، وتقوي هذا أو ذاك، واستخلاص النتائج الإيجابية والسلبية والبحث عن الاعتراضات، وتواصل الخطب، وتوسيع الفقرات، واكتشاف قوة وجهة نظر عدوك ونقاط ضعفها، وإمكانيات دفعها.
- بذلك تستطيع تفحص كل جزء من خطابك، من وجهة نظر شكلية أولا، ومن جهة الاعتراضات التي يمكن أن يثيرها ثانيا، وأخيرا الجواب الذي سيلقاه، وعندها ستحكم على النواقص الموجودة به، وسترى ما سيدحضه خصومك، وما يمكن أن يثيروه ضدك عند مهاجمتك.
- لا تنتقل بسرعة من العام إلى الخاص ، ويجب أن تعلمك قراءتك استخلاص الاعتراضات بوسائل أخرى وتوضيح ما هو صعب الفهم عن طريق الإحاطة بالصعوبة وتحليلها.
- لا تكتف بنوع واحد من القراءة، بل نَوِّع قراءتك، لأنك غالبا ما تجد في كل منها شيئا جديدًا يلفت انتباهك أو ذكاءك.

إذن.. اقرأ.. اقرأ.. لتكون لنفسك مخزونًا احتياطيا من الحجج المناسبة لكل مقام كما يقول الجدليون.

◆ حكم وعبر ◆

١ - اترك للآخرين المجد والشهرة وابحث أنت عن واقعية السلطة.

٢ - إما أن تحفظ السرّ، وإما أن ترفض معرفته والاطلاع عليه.

٣ - إذا ما تركت نفسك للغضب فإن الأخطاء ستقع عليك.

٤ - تصرف مع أصدقائك كما لو كانوا سيصبحون أعدائك.

٥ - عليك معرفة الشر كي تتمكن من منعه.

٦ - كن واثقا من أن كل علامات الحقد التي يبديها لك الآخرون صحيحة، لأن في الحقد، بخلاف الحب، ليس هناك رياء.

٧ - عندما تحرص على الحصول على شيء ما يجب ألا يلاحظ أي إنسان ذلك قبل أن تحصل عليه.

٨ - إنه لمن الخطورة أن تكون صلبا جدًّا في الأعمال التجارية.

٩ - أفضل الحلول دائما الوسط.

١٠ - احذر أولئك الذين تدفعك عواطفك نحوهم .

١١ - لا تدع أحدًا يقترب من سرّك ، كما لا تدع سكينًا مصرًا على ذبحك الاقتراب من رقبتك.

١٢ - احتفظ دائما ببعض الحذر من الناس، وكن على ثقة بأن رأيه فيك ليس بأفضل من رأيهم في الناس.

١٣ - عندما يكون حزب ما قويا لا تقل سوءًا عن هذا الحزب حتى وإن لم تكن منه.

١٤ - ما تستطيع تسويته سلميا لا تفتش عن تسويته عن طريق دعوى أو عن طريق الحرب.

١٥ - يبدأ الخطر في مجموعة من المصالح عندما يصبح أحد الأطراف قويًا جدًّا .

١٦ - السعادة هي أن تكون على مسافة متساوية مع جميع الأطراف.

◆ «الأمير» و«الوصايا» كمنهج سياسي ◆

في عام ١٥٣٢ ظهرت الطبعة الأولى من كتاب «الأمير» للفيلسوف الإيطالي نيقولا ميكيافيللي[١]، كدليل للحكام والسياسيين في الحكم وألاعيب السياسة. دعا ميكيافيللي في كتاب «الأمير» إلى قيام دولة إيطالية موحدة بحاكم قوي دون اعتبار للقيم الأخلاقية. وقد أثرت آراؤه وأفكاره التي بثها في كتبه في القادة والسياسيين ليس في أوروبا فقط، بل في العالم كله، وأصبحت من قواعد السياسة في معظم دول العالم، خاصة مبدأ «الغاية تبرر الوسيلة» مهما تكن هذه الوسيلة منافية للدين والأخلاق، فالمهم هو تحقيق المصلحة العامة أو الخاصة.

استند ميكيافيللي في رأيه هذا إلى الواقع المنحرف للأكثرية من الناس، لا إلى مبادئ الحق والعدل والخير والفضيلة. فقد رأى أن أكثر الحكام لم يكونوا شرعيين، ولم يكونوا ملتزمين بالمبادئ الأخلاقية الفاضلة[٢]، وبذلك استطاعوا أن يصلوا إلى سُدة الحكم وأن يضمنوا استقرار حكمهم لفترة طويلة، بخلاف الحكام الشرعيين الذين كانوا يلتزمون بالمبادئ الأخلاقية المستندة إلى الحق والعدل والخير، والذين لم يحققوا لأنفسهم النجاح ولا المحافظة على الحكم.

---

(١) نيقولا ميكيافيللي فيلسوف إيطالي عاش في عصر النهضة في أوروبا، ولد في مدينة فلورنسا بإيطاليا في الثالث من مايو عام ١٤٦٩، وكان أبوه محاميا متوسط الحال. تقلد ميكيافيللي منصبا إداريا في الحكومة، وأصبح المستشار الثاني لها، وخلال عمله في هذا المنصب زار البلاط الملكي في كل من فرنسا وألمانيا وعدة مقاطعات إيطالية في بعثات دبلوماسية مختلفة، وانتظم في هذا السلك لمدة أربعة عشر عاما. بعدها مباشرة استولت أسرة «ميديتشي» على الحكم عام ١٥١٢ وسُجن ميكيافيللي في ذلك الوقت لأنه كان معارضا لها، ثم نُفي في العام التالي، وانزوى في بيته الريفي وعكف على دراسة التاريخ، فدون خلاصة تجاربه السياسية ومطالعاته المختلفة في كتابه الأمير.

لميكيافيللي أيضا عدة كتب منها : أحاديث ، فن الحرب ، جذور تفاح الجن وكتاب مختلف في نسبته إليه هو كتاب «حوار حول اللغة».

مات ميكيافيللي عام ١٥٢٧ ، ودُفن في سانتا كروس في فلورنسا.

(٢) هذا الرأي طبعا بناء على مشاهداته هو وما عاصره بنفسه في أوروبا بالذات، وبالطبع هذا الرأي لا ينطبق على كل الحكام.

وقال ميكيافيللي في كتابه: إن الحاكم يجب أن يكون ماكرا، والأمير يجب أن يحافظ على العهد حين يعود عليه بالفائدة فقط، أما إذا كانت المحافظة على ذلك العهد لن تعود عليه بالفائدة فيجب عليه عندئذ أن يكون غادرا!!. واستنتج ميكيافيللي من ذلك أنه لا يلزم الأمير أن يكون متحليا بفضائل الأخلاق المتعارف عليها، ولكن يجب عليه أن يتظاهر بأنه يتصف بها، بل أن يبدو متدينا. ولهذا فإن الغاية في السياسة من وجهة نظره تبرر الوسائل المنافية لفضائل الأخلاق[1].

*** منهج مازاران :**

كتب ميكيافيللي كتابه «الأمير» وهو في منفاه الريفي بعيدا عن السلطة، منبوذ منها، وكان قد اعتزم أن يهدي كتابه إلى أحد أفراد أسرة ميديتشي آملا أن ينعموا عليه بمنصب جديد فيعود إلى حياة الخدمة العامة، ويخرج من عزلته ونكبته السياسية.

على عكس ميكيافيللي كتب مازاران وصاياه ودونها وهو في قمة السلطة، وفي خضم المعترك السياسي، وضمنها مفاهيمه العملية والمبسطة لكيفية ممارسة السلطة من قِبَل الحاكم والبقاء فيها لأطول فترة ممكنة.

ومن هنا تأتي أهمية ما دونه مازاران، فهو قد أتى بالجانب العملي وليس النظري أو الأيدلوجي الذي غلب على الأمير عند ميكيافيللي، واستلهم فيه التاريخ وتجارب الأقدمين.

وليس أدل على هذا المفهوم الواضح عند مازاران من قوله «كي نحكم دولة بشكل جيد، فإن المطلوب ليس الكرم، أو طيبة القلب، أو النية الحسنة، وإنما المطلوب فكر ثاقب وخصب، لا يمكن معرفة مخططاته، ويعمل لصالحه بدل الاستسلام لعواطفه.

وقد كان للنجاح الذي حققه مازاران في مجال السياسة ووصوله إلى تلك المرتبة العالية التي وصل إليها أثره الكبير فيما دونه حيث انطبعت على وصاياه سمات الثقة بالنفس، وبجدوى هذه الوصايا، كما عكست أيضا الخبرة الكبيرة

---

(١) سامحك الله يا ميكيافيللي. فكم من الجرائم والانتهاكات والأكاذيب والخدع السياسية ترتكب باسمك وبسبب نصائحك الثمينة!!

بطبائع الناس، الحكام منهم والمحكومين، وبدرايته الواسعة بدخائل النفوس، فهو لم يعزل نفسه عن الناس في برج السلطة أو الجاه، إنما شاركهم وخالطهم وعانى من متاعبهم، وسببوا هم له المتاعب، ونجح بحنكته وبدهائه السياسي في أن يروض هذه الجموع، وأن يحقق ما يهدف إليه دون التفات إلى صخبهم ومناوشاتهم له.

تُرى، ما الذي اتبعه مازاران لتنفيذ مخططاته، وكيف استطاع أن يصبح سيد فرنسا؟ ذلك ما ستعرفه عند تحليل ما جاء في وصاياه..

*** مازاران الداهية :**

كان مازاران يتمتع بفكر ثاقب، كبير، مجدد، وحس بسيط مباشر، وكان عنيدًا مثابرًا. يضع الطموح فوق حب الذات، ويرى أن من الأفضل ترك الناس يقولون ما يشاءون بشرط أن يتركوه يفعل ما يريد. كما كان مازاران بعيد النظر، واستجلائه لكوامن الأمور وما يحيط به، ولا يكتفي بتلك النظرة السطحية التي لا تلحظ إلا قشور الأشياء دون أن تتعمق لما خلف هذه القشور . نظر مازاران إلى الفرنسيين عندما بدأ في خدمة آل البوربون فوجدهم لا يزالون متمسكين بقوة السلاح، وأخلاق الفروسية العاطفية، متناسين أنهم يعيشون في قلب ثورة الفكر العقلاني التي بزغت في القرن السابع عشر، والتي حمل مشعلها الفيلسوف ديكارت، ولهذا جاء مازاران ليقول لهم بلغة واقعية بسيطة أن المطلوب هو نقل الدولة من مرحلة التكوين والولاء العاطفي إلى مرحلة الإدارة والتنظيم، أي من عالم المُثُل النبيلة، وأخلاق الفروسية الشهمة، إلى عالم المعرفة والعقل والتحليل.

فهو بالرغم من تجربته العسكرية، يدرك من خلال تجربته الذاتية بأن السلطة لم تعد بأيدي المقاتلين المدججين بالسلاح الذين يستطيعون تحديد مصيرها على أرض المعركة، وإنما أصبحت في مكان آخر بين أيدي أولئك السياسيين الهادئين الذين، بعد الاعتماد على المعلومات الدقيقة التي يجمعونها عن خصومهم يقومون عن طريق الدفع والإعزاء، باجتذاب هؤلاء الخصوم وإيقاعهم في الشراك المنصوبة لهم. لذا فإن من واجب الحاكم الذي قرر الدخول في لعبة السلطة المعقدة أن يتعلم الكثير من الأمور كي يتقن قواعد السياسة الدقيقة التي

يجب أن توصله إلى هذه المرحلة السامية من فهم معنى وأصول الحكم، وطرق المحافظة عليه.

الوصايا وتقدم تعاليم واضحة لكيفية سلوك رجل الدولة السياسي. وليس الأمير عند ميكيافيللي، الذي يخضع لقوانينه الخاصة، ويستوحى تجارب الماضي ليعمل على استقرار سلطته، في حين أن الرجل السياسي لا يولي أية أهمية للمنهج أو النظرية، لأنه لا يعرف إلا الحاضر، والحدث المرتبط به، ولذا فإن بمقدوره الوصول إلى أعلى قمة للسلطة دون أن يكون من أصل نبيل، أو أن يستند إلى قوة المؤسسة الدينية.

إن السياسي الناجح يجب أن يعي تمام الإدراك إمكاناته الشخصية، وصفاته النفسية، حتى يستطيع أن يتحكم في مشاعره، ويتعلم أن يراقب ويدقق في أفعاله، وألا يتهاون أبدا في هذه المراقبة، لأنه عندما يتمعن في هذه الأفكار سوف يكون قادرًا على أن يفكر بإمعان واستمرار في المكان الذي هو فيه، والظروف المحيطة به، ومركزه، ومركز هؤلاء الذين يتعامل معهم، وأن يوجه لنفسه النقد عند الضرورة.

إن السياسي يلزمه ويجب عليه أن يكون على إدراك كامل بطبيعة المحيطين به، وذلك لا يأتي إلا بناء على معلومات دقيقة، وليس مجرد الحدس فقط، وينبغي أن يكون لديه من الوسائل والحيل ما يستطيع به سَبْر أغوار كل شخص يتعامل معه، وأن تتوافر له الفِراسة اللازمة لكشف دخائل النفوس، ويشترك هنا مازاران مع مواطنه ميكيافيللي في استخدام كل وسيلة ممكنة للحصول على معلومات عن الخصم أو الصديق على السواء، سواء عن طريق التجسس، أو رشوة الخدم أو أية وسيلة أخرى ممكنة.

وكما أن على السياسي الحذر من الآخرين، فإن عليه الشك دائما بهم، لأن عناصر الشر تطغي دائما على عناصر الخير، وخاصة لدى أولئك الطامحين للحلول محله، وعليه معرفة كيفية إبعادهم عن طريقه، وتحويلهم من موقع الخصوم إلى موقع الأصدقاء إذا أمكن ذلك.

إن السياسي عندما ينجح في أمر ما ويثبت جدارته، فإن كل الأخطاء التي سوف يرتكبها بعد ذلك ستتحول لصالحه، لذا فإنه في بداية توليه أي منصب لا يضن بتفكيره أو بجهده، ولا يقدم على أمر دون أن يكون واثقا من النجاح، لأنه

بعد أن تترسخ سمعته بشكل جيد، فإن كل شيء حتى الأخطاء ستتحول لمصلحته.

وفي هذا العالم المليء بالخصوم والجواسيس، فإن خلاص السياسي يكون ، ليس في حيازته أقنعة متعددة فقط يرتدي منها ما يناسبه على حسب الظروف، وإنما أيضا بمعرفته كيف يحافظ على تواضعه وسره.

كما عليه أن يعرف كيف يدير وقته أثناء العمل، فينحي القضايا غير المهمة أو البسيطة الأهمية، ويهتم بالقضايا الأخرى بحسب توزيعه للوقت لا تتجاوزه بأي حال من الأحوال، ولا يأخذ وقتا أكثر من اللازم لتسوية الأشياء بشكل جيد، وإذا كان متعبا من قضية ما فلا يلح على نفسه، ولكن ينشط نفسه بممارسة الرياضة مثلا، وعليه أن ينظم نفسه ووقته في تناوله للأمور كلها بحيث لا يتركها نهبا لعوارض الأمور، تتقاذفه يمينا ويسارًا.

السياسي يجب أن يظهر في عيون شعبه عادلا، حتى وإن لم يكن كذلك، وعليه أن يدعم هذه الصورة بكل السبل الممكنة، مع الحرص على ألا تجلب لك أحكامك أعداءً، أو تفك عُرى صداقة أو حلف، وإنما عليك استعمال الكياسة والفطنة في ذلك «إذا كان هناك إنسان ما عليك معاقبته، فاستدرجه لأن يعترف هو بأنه مذنب، أو اطلب من شخص آخر محاكمته بعد أن تكون قد أوصيته سرًا بالنطق بحكم قاسٍ، حكم يتسنى لك تخفيفه بعد ذلك». «إذا ما كان عليك إصدار قرار ذي شأن كبير، الجأ إلى صيغة غامضة، وتكلم بصوت فيه نبرة خطورة لمصلحة وجهة النظر التي تريد الدفاع عنها».

السياسي الناجح لا ينساق وراء نشوة انتصار حققه، فيندفع في قرارات انفعالية يغلفها الفخر والكبر، وإنما يُعمل عقله وفكره السياسي ودهاءه في كل أموره، حتى يستطيع تحقيق النصر الكامل على عدوه، لأن القرارات الهوجاء قد تحول النصر إلى هزيمة، وتسحب البساط من تحت قدميه لتمنحه لأعدائه.

«عندما تكون منتصرًا في معركة ما ، لا ترد لعدوك أسراه من ذوي المقام الرفيع، لأنه إذا ما خانك الحظ، فإن عدوك سيكون لديه أسباب وجيهة للمحافظة عليك كي يسترد أسراه. بالإضافة إلى ذلك، احتفظ دائما بصلات دبلوماسية مع أركان عدوك وكبار رجاله..».

مارس مازاران السياسة بنجاح وطبق مبادئه في كل شئون حياته الخاصة والعامة، وفي كافة علاقاته مع الأصدقاء والأعداء، فحقق ما لم يتوقعه له الكثيرون من المحيطون به، بل على العكس توقعوا له الفشل الذريع والسقوط أكثر من مرة في تلك الشراك والحفر التي واجهته.. ثورة الفروند الأولى والثانية، صراع النبلاء وتحالفهم ضده، الصراع في أوروبا وخاصة عداء إسبانيا لفرنسا، الحالة الاقتصادية المتردية وعدم الاستقرار الداخلي، كل هذه الصعاب نجح مازاران في التغلب عليها ونجح أيضا في أن يسلم لويس الرابع عشر دولة مستقرة مهابة من جيرانها، يخشاها الجميع، بل أصبحت بحق سيدة أوروبا.

لم يبخل مازاران بنصائحه وتعاليمه على الملك لويس الرابع عشر، بل دربه منذ نعومة أظفاره على كل شئون الدولة، وأعطاه ما يختلج في قلبه من عواطف، وكان الملك الشاب يقول عنه: «إنه الوزير الذي يحبه الملك والذي يحب الملك».

اعتمد مازاران على عنصر الزمن أن ينصفه وينصف أعماله التي لم ترضِ المعاصرين له، ولم يستطع حتى البلاط الملكي أن يقدرها كل التقدير. وكما قال ريشيليو أستاذ مازاران: «إن عظماء الرجال الذين يعينون لحكم الدول أشبه بالمحكوم عليهم بالتعذيب، مع فارق واحد، هو أن هؤلاء يتلقون العذاب على سيئاتهم، أما أولئك فعلى حسناتهم».

لقد حقق مازاران نجاحاته في بلد غير بلده وبين أهل غير أهله، عاش غريبا بينهم، واعتبروه هم غريبا عنهم حتى موته.

◆ تعقيب ◆

تلك هي خلاصة أفكار مازاران في السياسة والحياة، أفكار تشكلت وترعرعت في بيئة غربية صرفة، عكست ملامح وثقافة تلك البيئة والمعايير التي تحكمها، وهي وإن كانت جاءتنا من العصور الوسطى، وبالتحديد في القرن السابع عشر، عصر النهضة الأوروبية، بما يعني أنها كانت من الأسس التي شكلت هذه النهضة وحكمت توجهاتها نحو الداخل والخارج، والخارج بالطبع نحن جزء منه، وبالتالي فقد تأثرنا بتلك التوجهات، وما ذكريات الحقبة الاستعمارية علينا ببعيدة، بل هي ماثلة الآن أمام أعيننا في العراق وفلسطين وأفغانستان وغيرها من بقاع العالم.

ولنا أن نتساءل : هل صحيح أن السياسة لا تحكمها قواعد أخلاقية أو معايير من الفضيلة والحق والعدل للجميع؟

ربما كانت إجابة هذا السؤال صعبة ومتشعبة هذه الأيام بالذات، في عالم أصبح تحكمه وحوش ضارية تظن الأخلاق القويمة ضعفا والفضيلة نقصا والعدل مستحيلا!!

لن أطيل في هذا التعقيب في تتبع إجابة هذا السؤال، بل سأقدم بصورة موجزة كيف تناول الإسلام ورسول الإسلام ﷺ الجانب الأخلاقي ومكارم الأخلاق ودور الحاكم والمعايير التي تحكمه لنقارن بينها وبين ما كتبه مازاران في القرن السابع عشر، وما نشاهده من وقائع السياسة اليوم فنقول :

- الأخلاق هي لب رسالة الإسلام إلى البشرية، فقد قال الله تعالى مادحا وواصفا خلق نبيه الكريم ﷺ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان ﷺ يقول: اللهم كما أحْسَنْتَ خَلْقي فأحسنْ خُلُقي»، وكان من دعائه أيضا: «اللهم مَنْ وَلِى من أمر أمتي شيئًا فشَقَّ عليهم فأشْقُقْ عليه، ومن ولى من أمر أمتي شيئا، فرفق بهم، فارفق به»، وعن أنس رضي الله عنه قال: «**كان النبي ﷺ أحسن الناس خُلُقا**».

وكذلك صفات الصدق والأمانة والتواضع والكرم والصبر من أخلاق النبي ﷺ سواء كرسول أو كقائد سياسي، فعن أبي أمامة الباهلي قال: خرج علينا رسول الله ﷺ متوكئا على عصا، فقمنا إليه، فقال: «**لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظّم بعضُهم بعضًا**». وحتى في قراراته السياسية وفي تعامله مع خصومه كان حليما صبورًا، ولم يلجأ إلى الغدر والمكائد لمحاربة أحد، لدرجة أنه عندما اشتد الأذى به في زيارته للطائف جاءه مَلَكُ الجبال يقول: يا محمد، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين. فقال النبي ﷺ: «**بل أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يُشرك به شيئا**» والأخشبان جبلا مكة، أبو قبيس، وقعيقعان.

كما قال عند فتح مكة لأهلها الذين أخرجوه منها: «**اذهبوا، فأنتم الطلقاء**».

أما أخلاقيات النبي ﷺ في الحروب فقد بقيت نورًا يهتدي به كلّ محارب مسلم حتى يومنا هذا، وهي تتجاوز في عظمتها كل ما وضعته البشرية من قوانين وأعراف ومواثيق شرف. وعلى رأس هذه الأخلاق الدفاع عن الحق بكل قوة ودون مجاملة أو ضعف أو تهاون. فقد جاء في كتب السيرة أن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما كان واحدًا من جنود المشركين في غزوة بدر، فقال لأبيه بعد إسلامه: «لقد صَدَفْتَ لي يوم بدرٍ فلمْ أقتلْكَ»، فقال أبو بكر: «والله لو صَدَفْتَ لي لقتلتُكَ».

كما أن مبدأ مباغتة العدو ومفاجأته هو من المبادئ العسكرية التي كان يقرها النبي في ميدان القتال، وظلت الجيوش العربية والإسلامية تحافظ عليها، إلى أن جاء نصر أكتوبر ١٩٧٣ بواحدة من أكثر المباغتات العسكرية براعة في التاريخ.

وعموما فقد شدّد الإسلام على أهمية السلام في الحرب ، فاعتبر الحرب هي الاستثناء عن القاعدة وذلك لحماية الحق والضعفاء ونشر دين الله. ومن أخلاقيات الحرب في الإسلام قبول الهدنة إذا جنح العدو لها ما دامت لا توجد حقوق مسلوبة أو منتهكة بعد. كذلك شَدَّد الإسلام على أهمية الوفاء بالعهود وعدم التمثيل بجثث القتلى، وأمر بالعفو عند المقدرة، كما نهى عن تعذيب الأسرى أو وضعهم في ظروف سيئة.

ومن أبرز أخلاقيات الحرب في الإسلام النهي عن قتل المدنيين والتعرض لهم بسوء، إلا مَنْ يقدّمون العون لجيش العدو، فقد نهى الرسول ﷺ نهيا باتا عن قتل

الأطفال والنساء، والشيوخ والرهبان والمزارعين والتجار، ونهى عن هدم المنازل أو إحراقها أو قطع الأشجار وتسميم الآبار.

ومن أبرز الأحاديث النبوية الشريفة التي تناولت أخلاقيات الحروب ما رواه سليمان بن بريدة عن أبيه: أن رسول الله ﷺ كان إذا أمر أميرًا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيرًا، ثم قال: «**اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا**».

كما أوصى أبو بكر الصديق في خلافته أسامة بن زيد حين بعثه إلى الشام قائلا: «لا تخونوا، ولا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلا، ولا شيخا كبيرًا، ولا امرأة، ولا تعقروا نخلا وتحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة، ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له».

*** هل سارت السياسة اليوم على هذه المبادئ ؟**

السياسة تنتهك كثيرا من الأخلاق الفاضلة، وهناك قائمة طويلة من تلك الأخلاقيات التي انتهكها سياسيون أو زعماء أو حكومات ودول. ومن أبرز الأمثلة على ذلك:

*** الكذب :**

استخدم الساسة الكذب في مواضع كثيرة للوصول إلى غاية ما، أو الهروب من مأزق خطير. ومن أشهر الأكاذيب الماثلة أمام أعين العالم حتى يومنا هذا الادعاء بوجود أسلحة دمار شامل في العراق وذلك لتبرير العمل العسكري ضده.

*** التجسس :**

حوادث التجسس كثيرة ومتعددة، ومن أشهرها فضيحة «ووترجيت» الشهيرة التي كان فيها الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون على علم بتجسس أجهزته على منافسيه في الحزب الديمقراطي في مبنى ووترجيت.

*** الفساد والرشوة :**

من فضائح الرشوة والفساد الحديثة نوعا ما فضيحة برنامج «النفط مقابل الغذاء» فقد أصدرت لجنة فولكر التي حققت في هذه القضية تقريرا يتضمن أسماء لشركات دفعت مبالغ سرية إلى صدام حسين للحصول على عقود في البرنامج وقد اعترف مسئول إدارة المشتريات في البرنامج بأنه تلقى رِشوة بالفعل من شركات تعمل مع المنظمة الدولية في إطار «النفط مقابل الغذاء».

*** تدنيس المقدسات :**

دنست قوات الاحتلال الإسرائيلية المساجد والمصحف الشريف عدة مرات خلال حملات المداهمة التي قامت بها ضد الفلسطينيين، وفعلت القوات الأمريكية الشيء نفسه في العراق.

*** وبعد :**

تعد قضية العلاقة بين الأخلاق والسياسة من أقدم المسائل الفلسفية المطروحة في مجال العلوم السياسية، لكنها الآن تطرح بقوة أكثر من أي وقت مضى، في ظل انحطاط القيم الأخلاقية لبعض الحكومات، الأمر الذي يتطلب معه ضرورة إيجاد علاقة ما واضحة بين «الأخلاق» و«السياسة».

فهل يمكن أن نقول إن هناك حكومات تطبق المعايير الأخلاقية والقانونية عند تعاملها مع شعوبها والدول الأخرى؟ وهل يجب أن يكون هناك وحدة بين الأخلاق والسياسة؟ وهل يجب أن تكون السياسة تابعة للأخلاق ونابعة منها؟ أم يجب فصل الأخلاق عن السياسة تماما؟ أم أن كلمة سياسة في حد ذاتها لا تتضمن مفهوم الأخلاق من الأصل؟

يستبعد الواقعيون وجود علاقة بين الأخلاق والسياسة في إطار السياسة الدولية، فليس هناك أي التزامات أخلاقية. بينما يرى المثاليون وجوب تلك الالتزامات ، لأن المسألة الأخلاقية ضرورية في أي عمل سياسي، حتى تكون هناك علاقة تربط القيادة بالجماهير ، فالحكومة في النهاية مجموعة من البشر، وليست مجموعة من الملائكة، لهذا يجب تحديد سلطاتها ودورها.

◆ المراجع ◆

- محاضرات في تاريخ أوروبا الحديث - د. محمد صبري الدالي .
- دليل الرجل السياسي (الكاردينال جول مازارين) .
  ترجمة وتقديم د. خضر خضر .
- حقائق الإسلام وأباطيل خصومه - عباس محمود العقاد .
- قصة الحضارة - ويل ديورانت .

- Paul Guth. Mazarin, Flammarion, Paris.
- Pierre Goubert . Mazarin , Librairie Arthème Fayard, 1990.